
9
جزيرة الموتى
المتجولين

جزيرة الموتى المتجولين

الان شارب

ترجمة : نوال مهدي سلمان

فريق الأرشفة الألكترونية
أحمد هاشم
غسان معله
أسعد علوان

يكن عندهم أي نوع من المعادن والكنوز الثمينة. فقد قرر كولومبس الرحيل عن هذه الجزيرة، والابحار جنوباً. غادر كولومبس الجزيرة، ووصل بسفينته الى جزيرة هايتي .

كان يعرف عن السكان الاصليين لجزيرة هايتي بأنهم من اقوام «تاينوس» ،وكانوا يشبهون اقوام «اللوكايان»، وربما كانوا أقرباءهم ـ غير ان التاينوس كان يتوفر لديهم الذهب ،فقد كان عندهم الكثير من هذا المعدن الثمين ـ الامر الذي جعل كولومبس يعتقد بأن لديهم منجماً خفياً للذهب .

ثم سرعان ماتدفقت الى الجزيرة افواج عديدة من المستعمرين الاسبان الباحثين عن الذهب . وقام هؤلاء باستعباد قوم التاينوس، وعاملوهم بقسوة ضارية حتى فقد العديد من سكان جزيرة هايتي الاصليين .

كان (اللوكايان) يعتقدون بأن جزيرة هايتي هي موطن آلهتهم ، ولذلك كان الامر سهلاً للاسبان بإقناع قوم اللوكايان بالذهاب معهم في سفن الرقيق الاسبانية بحجة وعدهم بالذهاب الى «رحلة الى الجنة» .

بعد انقضاء خمسين عاماً ، وصلت أخبار المجازر المروعة التي ارتكبها تجار العبيد الاسبان بحق السكان الاصليين لهاتين الجزيرتين الى أرجاء العالم كافة الذي روع بتلك الاخبار. كما قام رئيس الاساقفة الاسن كلمنس بارسال سفينة الى منطقة البهاما للتقصي والبحث في الجزر للعثور على الاشخاص الاحياء الذين نجوا من تلك المجازر . وقد استمرت هذه العملية ثلاثة اعوام، اذ عثرت البعثة على احد عشر شخصاً حياً فقط من قوم اللوكايان .

وعلى الرغم من مرور اربعة قرون ونصف القرن على هذه الاحداث ، هل مايزال يوجد شخص ما ـ يسعى للانتقام من موت ٣٠٠٠٠٠ شخص بريء من قوم اللوكايان؟ هل يستعد للاشتراك في معركة مع قوى غيبية ، خارقة ومرعبة لانقاذ الرغبة في المزيد من اراقة الدماء؟

كيف تقرأ هذا الكتاب

الصفحات التي تقع على الجهة اليمنى من الكتاب مرقمة في اعلى الزاوية اليمنى. قلب صفحات الكتاب ، وستعثر بسهولة على مكان الارقام .

تبدأ بقراءة الصفحة المرقمة (١) وعندما تصل الى نهاية الصفحة المواجهة لها، تصل الى نقطة تقول لك ماستقرأ لاحقاً، وعندما تستمر بمطالعة الكتاب ،ستجد هناك مواقف يتوجب عليك فيها اختيار ماتقوم به لاحقاً. وعندما تصل الى نهاية الصفحة ستجد امامك الخيار ، ستختار ماتريده انت بالانتقال الى الصفحة المؤشر عليها الرقم المكتوب ، وهذا الرقم مؤشر بين قوسين .

مثال:

قال مورت انه اذا كنا نريد التمشي ،فانه سيذهب لكي يجلب السيارة (٦٨) . اما اذا اردنا انتظاره ،فانه سيتمكن من توصيلنا بسيارته الى محطة الارسال اللاسلكية «٢٤» .

اذا كنت قد قررت اختيار التمشي، فانك ستنتقل الى صفحة (٦٨). اما اذا وقع اختيارك على الانتظار ، فانك ستنتقل الى صفحة ٢٤ .

لكي تنجح في مغامرتك، عليك المحافظة على حياة رجل واحد من هذه القصة ـ هو السيد ميخيل الفاريس. لكن تذكر انه اذا فشلت محاولتك الاولى، تستطيع تكرارها ثانية .

اما الخارطة الملحقة بالقصة فانها ستساعدك على ايجاد طريقك في جزيرة (سان سلفادور) .

تقع كنيسة (سان فرنسيس كزافيه) على منحدر جبل في الجانب الآخر من ميناء مدينة كوكبرن ، واذ لم تتمكن من رؤية الكنيسة، فانك حتما سترى تمثال كريستوف كولمبس الذي نصب فوق مدخلها. وهذا التمثال مطلي بلون اصفر زاه، واذا ماتساءلت عن سبب طلائه بهذا اللون ، فان الجواب سيكون هو انه اللون الذي طلي به منذ نصبه

كان القس نيكولاس واقفاً على درجات الكنيسة ، وبيده مكنسة ، ويتحدث مع مورت جاكسون، شرطي الجزيرة. شعرت بوقوع هزة ارضية خفيفة تحت اقدامي في اثناء اتجاهي صوبهما للتكلم معهما، لم تستغرق الهزّة سوى لحظات .

قال مورت موجها كلامه الي : «لاتقترب كثيراً ، فجناب القس يعتقد ان احدى هذه الهزات ستؤدي الى اسقاط تمثال كولمبس» .

فقد كانت هذه الهزة الاخيرة واحدة من سلسلة متعددة من الهزات الارضية التي شهدتها الجزيرة في غضون الاسابيع المنصرمة. عزا الخبراء المختصون سبب وقوعها الى حدوث انهيار في الاراضي الصخرية الواقعة تحت سطح البحر في اخدود (بورتريكو) العميق الذي يبعد مائتي ميل جنوب الجزيرة .

قال القس: «سمعت انه تم نصب مدفع في الجزيرة تم جلبه من مكان ما ، يجب ان ارى جوزيف لكي يلقي علي مايجري قرب الميناء» .

رد عليه مورت قائلاً : «ساذهب الى هناك قبل اطلاق نيران المدفع ، فاذا كانت الهزات الارضية لم تسبب سقوط التمثال ، فمن المحتمل أن تسقطه نيران المدفع» .

كان من الواضح ان مورت كان يعني المدفع النحاس القديم الذي جلبته من اعماق البحر ، ووضعته في موقع قرب جدار الميناء، اكدت له انهم لم يطلقوا نيرانه ، فالمدفع بعد ان استقر في جوف البحر مدة طويلة امتدت خمسمائة عام ، فهناك احتمال كبير لانفجار ماسورته اذا ما استعمل مرة ثانية .

رد القس نيكولاس «وا أسفاه، لقد كنت اؤمل نفسي بأن يطلق المدفع نيرانه تحية جديرة لمناسبة انتشال السفينة الغريقة.» ثم تساءل قائلاً «متى سيكون موعد انتشال السفينة؟» .

قلت في سري، ربما في بداية الاسبوع القادم . فلقد كنت في طريقي الى ورشة الميناء لعملية انتشال السفينة .

قال مورت انه ينبغي ان يذهب. فقد سُرق من (صوفيا) ديكان صغيران، كما فقدت (جيسي) عنزتها. قد لايشكل هذان الحدثان شيئاً ذا اهمية في مدينة مثل ناسو . غير ان وقوعه في سان سلفادور قد يعد بداية لموجة اجرام تتعرض لها هذه الجزيرة الصغيرة . افترقنا، ضاحكين على تعقيب مورت الاخير هذا . اتجهت صوب الدرجات المؤدية الى الميناء ، رأيت امامي زوارق السحب الاربعة التي وصلت الميناء مؤخرا ، فقد كانت راسية قرب سفينة الانقاذ .

ذكرني هذا المنظر باننا قد اوشكنا أن ننجز عملنا الذي استغرق قرابة عامين .

انتقل الى صفحة (٢) .

٢

سان سلفادور شهيرة بسلسلة صخورها ذات الطبيعة المرجانية، وهذه السلسلة تمتد من مدينة كوكبرن الى نقطة ساندي جنوبياً. لكن المرجان، وهو مادة عضوية حية متنامية، يهدد بغلق مدخل الميناء منذ ثلاثة اعوام. اثناء عمليات التفجير بالالغام لتوسيع مجرى القناة التي تعبر منها السفن ، انشطرت احدى اكبر السلاسل الصخرية المرجانية الى نصفين تماماً .

هذا الانشطار الذي وقع تحت سطح الماء يشبه تماماً انشطار سطح الارض الى نصفين. كانت السفينة الغريقة جاثمة في الشق الارضي المتكون حديثاً . ادت الهزة الى تخلص السفينة من مادة المرجان التي كانت بمنزلة غطاء واقٍ لها ، فقد حماها المرجان مدة قرون عديدة فهي سفينة شراعية كبيرة مزودة بمدفع، اسمها «ماري جالانت» حالتها كانت جيدة عند العثور عليها ماعدا ثقبا كبيراً يخترق بدنها الخشبي .

ويعتقد انها قد تعرضت للاصطدام بصخرة مرجانية تحت سطح الماء بعد مغادرتها الميناء بدقائق، هذا الاصطدام ادى الى اغراقها مع الركاب المسافرين الذين كانوا على متنها. حين تم العثور على السفينة في منخفض طبيعي تحت سطح البحر ، كان المرجان قد تنامى حولها، وهو الامر الذي منع قيام تلف هيكلها الخشبي نتيجة وجود الحشرات التي تعتاش على الخشب . كما عثر على بضع مئات من الهياكل العظمية من الرجال والنساء ، والاطفال داخل السفينة الغريقة خلال المرحلة الاستكشافية الاولى .

وجد إن هؤلاء كانوا محشورين في قبو السفينة الضيق اذ كانت «ماري جالانت» سفينة لنقل العبيد . أما الذين عثر عليهم في قبو السفينة، فهم عبيد من جنس اللوكايان، الذين تم جلبهم الى السفينة لغرض بيعهم، بعد أن وعدوا بالقيام برحلة الى الجنة التي ربما كانت رحلة قصيرة الامد رحمة بهم .

قدرت كلفة عملية انتشال السفينة بما يزيد على اربعة ملايين دولار ، لم يتوقع أحد العثور على «كنز» في السفينة الغريقة، الامر الذي يجعل من عملية انتشالها امراً مغرياً ومربحاً. لذلك لم يتوقع ان تجري عملية التمويل من قبل شخص واحد ، هو السيد ميخيل الفاريز، وهو مصرفي ثري من اصل اسباني يعمل في مدينة ناسو، العاصمة الباهامية .

حال توفر الاموال اللازمة لتمويل العملية ، اخذت الامور تتحرك بسرعة، اذ تم تعيين السيد كارل سبيرواك، الذي حصل على شهرة كبيرة في اثناء عملية انقاذ السفن اليونانية التي غرقت في البحر عند وقوع معركة سالاميس ، مديراً لمشروع انتشال سفينة «ماري جالانت». اما من ناحيتي فقد كنت آنذاك اعمل في مدينة بورتسموث في انكلترا ـ لانتشال بقايا سفينة ماري روز، وعملي الجديد هذا هو الاشراف على الآثار التي يعثر عليها ، وعينت سوستانام احدى زميلاتي مساعدة لي في هذا العمل، تم تكوين فريق عمل متكامل في غضون تسعة اشهر، وبعد ثلاثة اشهر وصلت سفينة الانقاذ الى الميناء، وهي مهيأة للبدء في عملها (٢) .

٣

استمرت مدة عملية افراغ السفينة لكامل محتوياتها ، وبضمنها البقايا البشرية ، زهاء عامين . ثم خزنت المحتويات كافة في منزل واسع يقع في الجهة الجنوبية من المدينة .

وفي المدة نفسها تم احاطة السفينة باطار خشبي وذلك لمنع الواحها الخشبية المهترئة من التصدع . وهذا الاطار يتصل باكياس من اللدائن كبيرة، وحين يتم ملء هذه الاكياس بالهواء ، سيرتفع هيكل السفينة بكامله فوق سطح الماء . اضافة الى ذلك سيكون عمل زوارق السحب الاربعة بتثبيت السفينة في اثناء عملية انتشالها ومنعها من الجنوح والميلان نتيجة امواج البحر . وفي غضون عشرة ايام كان كل شيء جاهزاً لانتظار الوقت الملائم للاحوال الجوية وانحسار المد لكي تبدأ عملية الانتشال .

كانت لدي معلومات سابقة تشير الى ان يومي الثلاثاء والاربعاء من الاسبوع المقبل سيكونان اليومين المناسبين لاتمام عملية انتشال السفينة ، حسبما اشارت اليه التنبؤات بالاحوال الجوية . لذلك ، عبرت عن استغرابي عندما وصلني خبر يقول ان سيبروك قد عين يوم الاثنين القادم موعداً للبدء في العملية ــ اذا كانت الحالة الجوية ملائمة . وقيل انه اضطر الى تقديم الموعد بسبب مخاوفه حول الهزات الارضية المتكررة .

شكل هذا الاجراء الاخير مشكلة لي ولسو ستانارد ــ اذ كان السيد الفاريز ينتظر في ناسو مستعداً للطيران الى سان سال مساء اليوم الذي يسبق عملية رفع السفينة الى سطح البحر .

كما لم يبق من يعمل من الفريق سواي وسو ، اذ اعددنا معرضاً صغيراً لافضل القطع الاثرية التي عثرنا عليها في السفينة الغريقة . وكان المدفع الذي وضعناه قرب جدار الميناء ضمن هذه المجموعة . والمعرض كان مكرساً للسيد الفاريز رب العمل .

اليوم كان يوم الخميس ، ولم يبق لنا سوى يوم واحد لانجاز اعمال المعرض .

اقترح (سيبروك) ، من المحتمل انه كان غير مدرك بانه مايزال امامنا عمل كثير لانجازه، بان اقوم انا وسو باستعارة احدى السيارات المكرسة لتسيير الاعمال ، والذهاب الى بحيرة كراين برحلة استجمامية لقضاء عطلة نهاية الاسبوع . ثم اضاف سيبروك، ان (مالكولم) ينوي القيام بتنقيباته الاثرية في منطقة قريبة من البحيرة، وبذلك نستطيع ان نوصله الى موقع عمله اثناء رحلتنا القصيرة والرجوع به عند عودتنا .

اما (مالكولم) فهو احد النجارين العاملين في الفريق ، لكنه كان هاوياً للآثار، اذ يقضي وقت فراغه وعطلته بالتنقيبات في موقع يسكنه قوم اللوكايان الاوائل سابقاً . ويقع هذا الموقع الآن في الجهة الاخرى من الجزيرة .

كنت اعتقد ان (سو) بها حاجة لقضاء اجازة. فاذا ما بقيت وحدي في موقع العمل لانجاز الاعمال المتأخرة ، فانها ستتمكن من الذهاب بمرافقة (مالكولم) الى موقع تنقيباته الاثرية صباح يوم الجمعة . وقد لاتكون هذه اجازة بالمعنى الصحيح ، لكن تغيير المنظر سيسعد (سو) ويريحها من عناء العمل (٥) . او اذا تمكنت من الذهاب الى هذه الرحلة حتى لو بدات فيها مساء الجمعة ، فانني ساكتفي عندئذ بعرض قطع اثرية اقل عدداً مما كنت قد خططت سابقاً (٧) .

٤

اشعرني قراري الاشتغال في مساء عطلة نهاية الاسبوع لغرض انجاز المعرض ، بانني استحق اجازة للمدة الباقية .

ففي صبيحة اليوم التالي خرجت الى سوق السبت الذي يقام اسبوعياً قرب الميناء ، ويعرض في هذا السوق مختلف انواع السلع من الطعام والملابس الى التذكارات المتعددة التي يتم بيعها للسياح مثل المحار وقطع مرجانية . الشخص الاول الذي صادفني هناك كان (بيلي بوليغ) . لم يكن هذا اسمه الحقيقي ، لكن يبدو انه اسم يطلق على اي فرد من طائفة الهنود البميتول . وبيلي هذا ينتمي الى هذه الطائفة من احد والديه ، وهو يتكلم اللغة الباهامية بطلاقة مثل كوفي وهو يسكن في اسطبل تابع لمنزل كبير مهجور يقع في احدى المزارع في الجهة الاخرى من الجزيرة ـ ومقر سكناه هذا لايبعد كثيراً عن الموقع الذي يقوم فيه مالكولم بتنقيباته الاثرية . بدت على ملامح بيلي اثار شرب الخمرة ، وكان يحمل برميلاً معدنياً صغيراً . قلت له وانا امازحه: «هل تحمل شراب الروم؟» . ردّ قائلاً «اتمنى لو كان ذلك صحيحاً ، فما احمله هو البارود الاسود ، اذ حصلت على برميلين وصلا عن طريق المركب ، وان احدهما ثقيل جداً لم اتمكن من حمله» .

كان الحصول على البارود شيئاً استثنائياً هذه الايام ، لكنني تذكرت أن لدى بيلي قطعه سلاح قديمة كبيرة الحجم ـ تستطيع اطلاق وابل من قذائف البارود مرة واحدة .

استمر بيلي في حديثه قائلاً: «اعتقد انني ساحتاج الى استعمال سلاحي ، ففي الليلتين الماضيتين عندما كنت ذاهباً للاصطياد شاهدت اشباحاً ـ وانني اعلم انها اشباح ، لانني عندما اطلقت النار عليها ، لم تصدر منها اية حركة ، بل توارت عن الانظار بسرعة ، سأحاول الحصول على شيء ما من (سابل) ، لكي تبعدهم عن طريقي» .

يلجأ جميع سكان الجزيرة الى شخص حكيم أو طبيب الغابة كما يدعى ـ لشراء التعاويذ ، كما يعمد هذا الشخص على ابعاد اللعنات التي تصيبهم . كانت حكيمة سان سال ، امرأة تدعى (سابل) ، وهي تعيش في كوخ خشبي قديم قرب البحيرة الكبيرة .

دمدم بيلي قائلاً «من الافضل ان لا ازورها ، لانني لا ارغب في حصول مشاكل شبيهة بتلك التي تعرضت اليها «كفى» بالدمع رجال الشرطة» .

لفتت عبارته الاخيرة هذه انتباهي ، وسألته: «اي نوع من المشاكل» .

ردّ قائلاً: «منذ مدة طويلة ـ كانت سابل تسرق العظام البشرية من المقابر لغرض اعمالها السحرية . وقد جعلت (كفى) تقوم باخفائها حين تشعر بأن الشرطة ستكتشف امرها . وقد تعرضت (كفى) لمشاكل كثيرة بسبب . تعاونها مع (سابل) . انني ذاهب الان» .

بعد مغادرة بيلي، كنت انوي الذهاب الى المدينة لقضاء يومي ، ولكنني الآن اشعر بتردد ، هل يتوجب علي العودة الى المنزل والكلام مع (كفى) عند مجيئها بعد الظهر (٦). لكنني قد اكون مخطئاً في ظنوني هذه ، اليس من الافضل ان انسى موضوع (كفى) ومتاعبها مع رجال الشرطة بدلاً من تركها العمل معي فيما لو كلمتها (٨) .

٥

بصعوبة تمكنت من اقناع (سو) بترك العمل معي لغرض انجاز المعرض ، لكنها أصرت على العمل بالبقاء حتى ساعة متأخرة من ليلة الخميس حتى انني اضطررت الى طردها تقريباً من المنزل في الساعة الحادية عشرة مساء ، وانا اذكرها بان عليها النهوض مبكرة في الصباح لقضاء الاجازة بمرافقة (مالكولم) كنت الشخص الوحيد من الفريق الذي يسكن المنزل ، اما بقية اعضاء الفريق فبعضهم يسكن في قلعة واثلينغ، وهي حافة المدينة، او يسكن في مكان قريب يدعى منزل كولومبس للضيوف .

استأنفت العمل بعد مغادرة (سو)، استغرق عملي مدة اكثر مما حددت، وبسبب ذلك تأخرت في النهوض صباح اليوم التالي ، كنت اوشك ان انهي فطوري حين وصلت (كفى) الى المنزل . «كفى بالمرء هذه تعمل عندي خادمة لتنظيف الدار .

بدأت بعملها في تنظيف الغرفة (غرفة عملي)، وكنت ما ازال اعمل فيها ،كانت (كفى) ،وهي تضرب بقوة نافضة الغبار حول القطع الاثرية الثمينة ثم تقول شاكية:

- «تنظيف هذا البيت لاينتهي ابداً ، فبعد مدة قصيرة من ازالتي الغبار لايلبث أن يتسخ ثانية» .

احيانا قد افضل وجود البعوض على محاولات كفى للتخلص منها ، ولذلك غادرت غرفتي بسبب عدم رغبتي في مشاهدة (كفى) وهي تقوم بعملية التنظيف المثيرة لأعصابي ، ذهبت الى غرفة عمل (سو)، كانت (سو) قد جلبت من القبو في بداية هذا الاسبوع ،جمجمة اثرية تعود الى (اللوكايان) وجمجمة اخرى ذات اصل اسباني لعرضهما ضمن القطع الاثرية المخصصة للمعرض .

لم اقتنع بأن نموذج جمجمة (اللوكايان) الذي جلبته (سو) يعد انموذجاً يصلح للعرض ، فعمدت (سو) الى جلب جمجمتين اخريين، وقالت انها قد وضعتهما على المنضدة التي تشتغل عليها ، ان جماجم اللوكايان تمتاز بشيء خاص بها ، اذ لجأت امهات قوم اللوكايان الى استخدام لوح خشبي ، ومن ثم الضغط برقة على الجبهة الامامية لاطفالهن ، عندما تكون عظامهم ماتزال طرية . استخدمت هذه الطريقة لتوسيع جبين الطفل وجعله يتحدر الى الوراء بنحو ملحوظ من منطقة الحاجبين وهذه الخاصية قد تغيب عن العين غير المدربة ملاحظتها .

لم أر سوى جمجمة واحدة فقط في غرفة عمل (سو) ،جلبتها معي الى غرفتي ، ثم سألت (كفى) فيما اذا كانت قد رأت الجمجمة الاخرى ، اجابتني كفى ، «انني لااعرف شيئاً ، فلا بد ان تكون الانسة (ستانارد) قد وضعتها في مكان آخر . اذ رأيت واحدة منها داخل العلبة الموضوعة جوار النافذة» .

كانت هاتان الجمجمتان اول الجماجم التي جلبتها (سو) الي . بعدما انصرفت (كفى) عن المنزل بعد الظهر ، شعرت بأن سلوكها كان غريباً ، والا لماذا قالت: «هناك جمجمة موضوعة جوار النافذة» . ولم تقل هناك جمجمتان موضوعتان جوار النافذة، اذا كانت تستطيع تمييز جمجمة اللوكايان؟ هل تكون (سو) قد أرتها هذا النوع ، لكن هذا الامر يبدو مستبعداً (١) .

٦

وصلت (كفى) الى المنزل الساعة الثانية بعد الظهر . كنت اراقبها وهي تدخل، وانا اقف قرب نافذة غرفة عملي . كانت ترتدي ثوباً زاهي الالوان «ثوب يوم السبت» ، وعلى راسها قبعة جديدة من القش ذات حافة ضيقة تغطي شعرها الداكن الشبيه بالاسلاك . وقد تشوهت زينتها هذه بسبب ارتدائها جواربها الاعتيادية ذات اللون الرمادي والمجعّدة مع حذاء ابيض متسخ مصنوع من القماش ونعل مطاطي ، بيدها تحمل حقيبة يد كبيرة وثقيلة من القش جعلتها تميل الى جانب سيرها بسبب قدميها المفلطحتين.

دخلت (كفى) غرفتي بعد دقائق من وصولها المنزل ، كانت انفاسها متسارعة عندما وضعت قبعتها وحقيبتها على منضدة عملي .

سألتها بطريقة تخلو من اللياقة «لماذا اخذت احدى جماجم اللوكايان ومنحتها لسابل؟» اجابتني بحدّة . «ياله من سؤال ، اعتقد انك تمزح معي ، ولكن لااجد هذا مسلياً . هل تتهمني بالسرقة؟» .

انتشلت حقيبتها بعصبية من على المنضدة ، انحلّ احد مقابض القش لحقيبتها فتبعثرت محتوياتها على المنضدة ـ كان ضمن المحتويات مشتريات بقالة متنوعة ـ لكنني لاحظت حزمة من الريش شكلها غريب ضمن المحتويات .

وقد لاحظت (كفى) انني اطيل النظر الى حزمة الريش . قالت «لقد اشتريت ريشاً لازين به الحافة العليا لقبعتي الجديدة» .

اجبتها «لماذا تودين وضع تعويذة سحرية على قبعتك انها تعويذة سحرية اليس كذلك؟»

ردت علي بانزعاج

ـ «انني آسفة، اعتقد انك ستهزأ بي اذا قلت لااستطيع ان افكر جيداً . انني اشتريتها لكي اعلقها على شجرة الفاكهة ـ حتى تمنع الاخرين من سرقة الفاكهة» .

بما انني قد رأيت سابقاً نوع التعويذات السحرية التي يطلقها سكان الجزيرة المحليون على اشجار الفاكهة.. وكانت عبارة عن قناني تحتوي نوعاً من المسحوق ولذلك فان كلام (كفى) كان غير صادق ، اذ ان شكل التعويذة التي بحوزتها كان مختلفاً ، ادركت (كفى) انني قد شعرت بكذبها ، فتوقفت قبل اكمال حديثها: قالت:

ـ «نعم ، لقد سرقت الجمجمة ، لم اكن راغبة بذلك ، فانا امرأة شريفة ـ لكن (سابل) هذه أجبرتني على ذلك ، فانني اخاف منها ـ فهي امرأة ساحرة من هايتي بامكانها باشعال شمعة القضاء عليك وبطريقة بطيئة تتعذب فيها حتى تموت .

رددت عليها :

«حسنا انني اصدقك.. لكنك لم تذكري شيئين ، لماذا تسعى (سابل) الى الحصول على جمجمة اللوكايان؟ ولمن هذه التعويذة السحرية؟»

٧

يستخدم المنزل الذي اسكن فيه كمخزن ومكان عمل في ان واحد .

اما (سو) وبقية افراد فريق العمل لهم يسكنون في قلعة واتليبنغ ، وهي حانة المدينة او في منزل ضيوف كولبس .

كانت (سو) مقتنعة بانني بي حاجة للراحة ايضاً ، وقالت لي باننا لو عملنا معاً حتى ساعة متأخرة من ليلة الخميس ، ثم نبدا العمل مرة ثانية في صبيحة الجمعة ، قد نتمكن من انجاز كمية لاباس بها من العمل . وهذا يسمح لنا بالذهاب معاً الى بحيرة كراتي مساء يوم الجمعة .

ابديت موافقتي على اقتراحها هذا .

في صباح يوم الجمعة، استيقظت مبكراً ثم انهيت فطوري الساعة السادسة صباحاً . وصلت (سو) المنزل الساعة السابعة صباحاً . كما جاءت وراءها «كفى بالمر» في الساعة الثامنة والنصف - وكفى امرأة تقوم بتنظيف المنزل ، وهي تاتي يومياً للقيام بعملها ، ولكني احياناً لا ارغب في ان تقوم بعملها ؛ واعتقد ان صباح الجمعة كان احد تلك الايام التي لا ارغب من كفى ان تقوم باعمالها اليومية .

فقد رتبت وصففت القطع المكسورة لابريق اثري مكسور ، لاجل لصقها في وقت واحد ، عندما رأيت نافضة الغبار تقع وسط القطع المرتبة على منضدتي ، مما جعل بعض هذه القطع تسقط على الارض .

قالت كفى «انني اسفة ، فقد كنت ازيح البعوض الميت المتساقط . لا ادري كيف تعمل وسط هذه الحشرات الميتة» .

كنت اريد ان اقول لها ، ان هذا البعوض الميت لايبعثر عملي ويرميه على الارض ، لكن دخول (سو) الغرفة منعني من الكلام .

قالت سو «لقد فقدت احدى الجمجمتين ، اذ كنت قد جلبت اثنتين تابعتين لقوم اللوكايان من القبو يوم الثلاثاء الماضي ، ووضعتهما على المنضدة في غرفة عملي . انني لااجد الآن سوى واحد فقط» .

قلت «لست اللوم على ذلك» .

قالت كفى «لابد انك مخطئة يا آنسة ستانارد ، فمن المؤكد ، بانه لايوجد من يرغب بسرقة جمجمة قديمة . لابد انك وضعتها في مكان اخر ، فقد رايت واحدة جوار النافذة» .

كانت هناك فعلاً جمجمتان داخل علبه مغلقة جوار النافذة ، احداهما تعود الى اصل اسباني والاخرى الى قوم اللوكايان - لكن (سو) كانت على علم بوجودهما في هذا المكان ، لكن هذا ليس بالوقت المناسب للقلق على اختفاء جمجمة! .

المدة المتبقية من صباح يوم الجمعة تخللها الازعاج كما بدات . غادرت (كفى بالمر) المنزل اثناء مدة الغداء بعد ان اعطت وعدها بالعودة يوم السبت بعد الظهر للقيام بحملة تنظيف شاملة لجميع ارجاء المنزل لمناسبة قرب وصول السيد الفاريز - رب العمل . استانفت عملي بعد ذلك ، لكنني لم اتمكن من انهائه .

اعربت (سو) عن رغبتها في تمضية عطلة نهاية الاسبوع عند موقع (مالكولم) للحفريات الاثارية ، وبما انني لم اكن متاكداً من انتهاء العمل ، ولكي لااجعل مالكولم ينتظرني مدة طويلة ، اخبرته بانني سابلغه قبل مغادرته فيما اذا كنت ذاهبا الى البحيرة (٩) او لا (٤) .

٨

كنت أشاهد (بيبي) وهو يختفي بين زحام الناس. خطواته كانت غير متزنة بصورة ملحوظة. لم يكن تصرفاً غير حكيم الرجوع الى المنزل واتهام (كفي بالمر) بالسرقة مستنداً الى أقوال (بيبي). قضيت المدة المتبقية من الصباح في السوق. ولأني لم يكن لدي طعام يكفي في المنزل ذهبت الى الحانة لتناول الغداء. وجدت مورت جاكسون يتناول غداءه في غرفة الطعام.

قال: لا تبدو مندهشاً، لعل رجال الشرطة تتناول الطعام أيضاً. كما أن زوجتي خرجت اليوم من البيت لأداء بعض الاعمال لنفس نيكولاس. تلعب معي وإني سأتناول سلطة فحسب. كما أن لدي شيئاً آخر أريد أن أخبرك به.

ثم ناولني شيئاً من تحت المائدة ما يبدو كأنه حزمة من الريش.

ثم أضاف قائلاً:

- أرجو منك أن تضعها بعيداً عن الأعين، فهي تثير فضول أهل المدينة. إنها تعويذة سحرية.

كنت قد شاهدت سابقاً تعويذات سحرية يتم تعليقها على الاشجار لتخويف الأطفال لكي لا يسرقوا الفاكهة. وهي على شكل قفص صغيرة في داخلها نوع معين من المسحوق.

قال مورت: هذه تعويذة من نوع خاص، وقد أعطاني جوزيف زوج (كفي بالمر) هذا الصباح، إنه متأكد بأن زوجته قد عاودت الاتصال ثانية مع (سالي) الساحرة، وقد رآها وهي تخبئ هذه التعويذة في حقيبتها. أرى أنك قد ترغب في الاحتفاظ بها كتذكار لا أكثر. إنني لا أقدمها لك كدليل مادي يمكنك استخدامه، إذ إنه ليس دليلاً تقبل به أية محكمة في هذه المنطقة.

أجبته أنني قد سمعت بمشاكل (كفي) الخاصة مع رجال الشرطة من سي بونسنغ.

رد مورت: كفي امرأة مريبة، لكنها تختلف عن سالي. تشبه شتى الكثيرين من هذه الجزيرة. فسالي ليست مجرد حكيمة أو طبيبة أعشاب اعتيادية، فقد جاءت من هاييتي، ويقول انها عرافة تشتغل بالسحر.

حدثت (مورت) عن قصتي بجمجمة مفقودة فأجاب:

- أستطيع أن أؤكد لك أن هذه الجمجمة عند الساحرة سالي وسأزورها يوم لأرى عند تخططين أعمال. لكن ... من مصادفة. عندما حدثت المشكلة الاخيرة مع (سالي) كان رئيسك السيد الفريز موجوداً في الجزيرة وسيمنحك عدداً ... أن أدعو ... إذا كنت ترغب برؤية ... فسنراه عند ...

كان مفروضاً أن تكون (كفي) قد رجعت الى بيتي لتمضية ساعة ولابد أنها قد انصرفت لأن ... هل يتوجب علي العودة الى مقر عمل (١٢) لمشاهدة ... لا كلمة عن (سالي) والمضايقات التي تحصل عند زيارات السيد الفريز للجزيرة (١٧)؟

في أثناء شربنا القهوة صارحتني (سو) قائلة

«إنني متأكدة إن (كفي مالم) قد سرقت الجمجمة المفقودة، ولا شك في أنها ستحظى على سعر صغير عندما تبيعها لأحد السياح ممن يهوون جمع التذكارات، قلت لها أنها مخطئة في ظنونها هذه، لأنني واثق من أمانة (كفي) فكيف تكون متأكدة من اتهامها هذا

ردت: «حسناً، إنني متأكدة من فقدانها ثم لا يوجد شخص آخر غيرنا نحن الثلاثة في المنزل وبسبب ماذكرته لي كفي هذا الصباح، حين قالت

«ماذا عن الجمجمة الموضوعة جوار النافذة؟» ماذا لم تقل «ماذا عن الجمجمتين الموضوعتين جوار النافذة؟» ولم تعلم بأن واحدة منهن فقط تعود الى قوم (اللوكايان)؟ كيف قد جلبت الجمجمتين الأخريين من القبو لانك اشرت بأن الجمجمة الموضوعة في غرفة عملك لاتظهر الفروق الجسمانية للوكايان بوضوح لابد ان يكون شخص ما قد أخبر كفي بخصوص هذه الفروق مميزة بها، وطبعي لست أنا من أخبرها»

كما لم أكن أنا أيضاً من أخبر (كفي)، فقد بت مستيقظاً في فراشي حتى منتصف الليل، وأنا قلق بخصوص مقالته (سو) لم أعتقد البتة بأن جمجمة اللوكايان تعد ذات قيمة نادرة، لكنها كانت متميزة عن غيرها فالأمهات في قوم اللوكايان كن يستعملن لوحاً خشبياً ويضغطن به بلطف على جبين أطفالهن الصغار عندما تكون العظام طرية وهدفهن في ذلك توسيع منطقة الجبين، وكان ذلك يؤدي الى انحداره الى الخلف من منطقة الحاجبين

مايشغلني الآن هو فيما لو سرق شيء آخر في أثناء فترات تغيبنا عن المنزل واستمر القلق ينتابني حتى صبيحة اليوم التالي، ولكنني لم أود إفساد عطلة (سو) بفرض عدم العودة الى المنزل للتأكد ولكن الجلوس هكذا من دون عمل شيء من النهار سيزيد من قلقي وكذلك اقترحت على (سو) أن نخرج معاً بالسيارة لزيارة مالكولم (١)

جاء (مالكولم) بالسيارة زهاء الساعة السادسة صباحاً، لم أكن راضياً عن نتيجة عملي، على الرغم من قناعة (سو) بأن القطع التي انتهيت منها الآن تكفي لاعداد المعرض فيما تتسبب القطع بسرعة ثم غادرنا المنزل بعد نصف ساعة

لايوجد في الجزيرة سوى طريق واحد، وهو الذي يدور حولها متجهاً جنوباً، وسلكت الطريق الأصلي الذي يوصلنا الى غايتنا، ثم أوصلنا (مالكولم) الى موقعه وعندما حيث اتجه لنصل حتى المنطقة الشمالية لنحو كريك وبعدها اجتزنا عبر المنطقة الرملية متجهين الى الضفة الجنوبية من البحيرة كانت الشمس قد أوشكت أن تغيب عندما تم نصب المخيم، وجلسنا لتناول وجبة العشاء

بعد بضع ساعات قليلة من السياقة وصلت الى موقع التنقيب للتحفريات الاثرية، كان الوقت يقارب الظهر، ورأيت (مالكولم) منحنياً وهو يبدو شديد الانهماك في عمله، وكان بيده دلو ومرشاة.

بدا لي (مالكولم) مسروراً بلقيانا، بخصوص لانه انتهى تواً من ازاحة التراب عن ثلاث قطع اثرية تمثل فؤوساً مصنوعة من الحجر. تجولت (سو) في الموقع حتى وصلت المكان الذي يعمل فيه مالكولم، اما مالكولم فقد بقي بجانبي. سمعت نباح كلب نائي من مكان ما وراء الاشجار فسألته فيما اذا زار شخص ما في اثناء العطلة هذه المنطقة في الجزيرة احابني وهو يهز رأسه نفياً: كلا.. اما بخصوص الكلب الذي تسمع نباحه فهو كلب بيلي. فوراء هذه الاشجار يوجد منزل لمزرعة خربة مهجورة، وان بيلي يسكن في اسطبل هذه المزرعة.

كان بيلي - هو بيلي مولنج - وهو ليس اسمه الحقيقي، لكنه مطلق غالباً على الهنود السمينول. وكان بيلي ينتمي من جهة احد والديه الى السمينول، وهو يتكلم بطلاقة لغة السكان المحلية الدهماسية اكثر بساطة مثل (كفي بالمر) كمل مالكولم حديثه قائلاً:

«لقد خرج معي الى المدينة لكي نحصل على البريد لاجل مستلزمات المخيم القديم ويفترض ان تصل رسالته بالبريد في امريكا الذي يحمل الرسائل من ناسو. وبعد مسيري لذهابه الى المدينة اذ لم استطع ابعاده عني ليلة امس. لقد كان مخموراً وهو يحاول اقناعي برؤيته شبحاً، يحوم حول المنطقة في عصور السمينول القدامى»

انت (سو) لتشاركنا الحديث، وقالت موجهة كلامها لي: «نستطيع العودة الى المنزل اذا شعرت، فانني مسرورة لانني حققت حاجتي الشخصية معي هنا وسأقضي وقتي في ما تبقى من العطلة في مساعدة مالكولم»

لا غرابة ان بدوت كأنني اخذت على حين غرة لاقتراحها هذا

قالت سو … وجهك يشير على ذلك. فعندما كلامي عن (كفي بالمر) والجمجمة المفقودة، وانت تود العودة. اذا رجعت الان فستستطيع الوصول الى المنزل قبل وصول (كفي) بعد الظهر بمدة طويلة.

لا استطيع ان انكر انني كنت افكر بهذا الاقتراح إن كان هذا الحل هو الطريقة الوحيدة لعدم افساد عطلة (سو) والسبب الوحيد الذي سأورده انني قد اكون افسدت عطلتي من دون مبرر. ربما تكون (سو) مخطئة في شكوكها. أليس هناك احتمال ان (كفي) قد كسرت الجمجمة ثم هناك احتمال آخر بان الجمجمة موجودة في المنزل ولم تحصل … الى … (١٣) ثم اعود مرة ثانية الى الجزيرة مع سو (١٤)

كانت (كفي) تجهل سبب رغبة الساحرة (سابل) بالحصول على جمجمة البوكاس، لكن (سابل) علمتها كيف تستطيع تمييز هذا النوع من الجماجم ثم قالت (كفي مالر) لمخدومها «إن سابل تقوم بأعمال سحرية كبيرة إذ منحتني تعويذة سحرية لكي أعلقها على باب المنزل مساء يوم الأحد، وأمرتني بعدم الخروج من المنزل الا حين ينتهي اليوم».

لقد كنت متفاجئاً من كفي بأمور حيرتني بكل ما تعرف، وعلى الرغم من ذلك كنت جاهلاً معرفة سبب رغبة سابل بالحصول على جمجمة البوكاس، لا بد أن يكون ذلك مرتبطاً بشيء ما أو حدوث شيء في المدة الواقعة ما بين ليلة الأحد وصبيحة يوم الاثنين، لقد يبدو الأمر غير مهم، لذلك إذا استمعت إلى أحاديث سكان الجزيرة لا أستبعد مثل (كفي) هذه خرافة، فسيدا لا أعتقد فعلا بوجود شيء اسمه السحر، لكني لم أكن رغم

هذا صمتت كفي بعدها عدة دقائق ثم قالت:

«إنني سأترك عملي إذا ما طلبت مني ذلك لكنني أرجو منك عدم إبلاغ الشرطة».

قلت لها: إني أرغب في استمرارها في العمل عندي في المنزل، وإنني حتى لو أخبرت رجل الشرطة مورت جاكسون فالمذنب الوحيد سيكون سابل وليست هي.

أجابتني كفي قائلة: «إنك لا تفهم ما أعني يا سيدي، فقد سبق أن ورطتني (سابل) بمشاكل مع الشرطة، فقد حدث ذلك قبل عامين وعلى وجه التحديد في الزيارة الأولى التي قام بها السيد لغارير للجزيرة، وإنني لا أرغب التورط بمشاكل أخرى من هذا القبيل».

بدت كفي شديدة الانزعاج والارتباك، أخبرتها أن تطمئن ولا تقلق، وساعدتها على إصلاح حقيبتها اليدوية، وإرجاع محتوياتها المبعثرة في داخلها، وقد غادرت كفي المنزل بعد ذلك.

لاحظت بعد مدة من مغادرة (كفي) المنزل أنها قد نسيت تعويذتها السحرية وراءها، ولم أدر ما أفعل بها، ولذلك وضعتها في جيبي بلا شعور لأنني كنت منشغلاً بأمور أخرى.

قد يجوز أنني لا أصدق وجود السحر، ولكن هناك شيئاً شغل تفكيري، فلقد زار السيد ميغيل لغارير الجزيرة مرة واحدة فقط، وإن زيارته المتوقعة الثانية للجزيرة ستكون في الساعات الواقعة ما بين مساء الأحد وصباح الاثنين.

وددت لو أتكلم مع سيمروك بخصوص هذا الموضوع (١٧) لكن هل سيقول لي ما شعرت به فعلاً؟ هل إنني قد بدأت أعتقد بخرافات لا معنى لها، وأن كل ما في الأمر قيام (سابل) بتحريض (كفي مالر) على سرقة جمجمة واحدة؟ هل يتوجب علي نسيان هذا الحادث، والاستمرار في عملي بصورة طبيعية؟ جعلني هذا الشعور مترددا فلم أتابع جولاتي الاسبوعية (١٣)

أخبرته أن (سمو) ناشبي بوزخت في المنزل فلابد أن أجد السيارة معي وهذا يعني أولاً الرجوع إلى البحيرة ثم جرّ الأمتعة، ثم جلبها إلى موضع التنقيب وبعدها العودة مرة ثانية إلى موقع التنقيب بمعية الأحد لإرجاع (سمو) و(مالكولم) معي إلى المدينة.

وقد أدركت حينما أخبرني مالكولم بان بيتي قد ذهب إلى المدينة ماشياً على قدميه، وأن المسافة عن المدينة لا تبعد أكثر من ستة أميال مشياً على الأقدام، وهذا يعني عبور البحيرة، لكن هناك واسطة نقل نهرية تعبر البحيرة، وهي العبارة وأنني إذا عبرت بواسطتها وحدي مشياً على الأقدام فأستطيع بعد عبوري الوصول إلى إحدى الطرق الخشبية القديمة التي كانت تستعمل سابقاً لإيصال أخشاب الأشجار المجموعة الكبيرة التي تستخدم في صناعة الأخشاب إلى الساحل وهذا الطريق يتصل بالجزء الخلفي للمدينة أو سعة للمنزل الذي أسكن فيه. لم يعد (سمو) متحمساً لاقتراحي هذا ولكنني تمكنت من إقناعه

وصلت مشياً على الأقدام إلى العبارة بعد رحلة ساعة، وكانت العبارة مرسوّة في منطقة ضيقة من البحيرة، وهي عبارة عن مجموعة من الألواح الخشبية المرتبط بعضها مع البعض الآخر، يتم تسييرها بواسطة حبل طويل مثبت بحلقات معدنية عبر الاسحاب من [illegible] على ضفتي البحيرة.

استغرقت حتى رأيت [illegible] العبارة واقفة في المنطقة نفسها التي وصلت إليها من البحيرة، فقد كان [illegible] للشخص الآخر الذي عبر البحيرة، فيجب أن تكون [illegible] على الضفة المقابلة، في أثناء عبوري تذكرت أن شخصاً ما يسكن هذه المنطقة بصورة منعزلة [illegible] أنها [illegible]

لدى كل شخص يعيش في جزر [illegible] شخص يكون بصورة [illegible] أعشاب أو حكيم يقوم ببيع التعويذات لإبعاد الشرور عنهم، وجرع من الشراب تخصص [illegible] أو سموم [illegible] أعشاب طبيعية لمعالجة الأمراض المختلفة.

كان [illegible] حكيمة تدعى (سماس) وهي تسكن في أحد الأكواخ القديمة الآيلة للسقوط والمهجورة، وهذا الكوخ يقع في منطقة بحيرة الكبيرة.

حتى وصلت العبارة إلى الجهة المقابلة [illegible] استطعت أن أرى جزءاً من كوخ (سماس) مخفياً عن عين [illegible] كان [illegible] ويبدو على المكان أنه منطقة مهجورة تتسلل حب الاستطلاع لدي فاقتربت من الكوخ شاهدت قرب قدمي قطعة من العظام وهي تمثل الجزء الأمامي لأيمن جمجمة [illegible] وتظهر فيها محجر العين [illegible] الأنف، كان ذلك كافياً لكي [illegible] كانت جمجمة تعود إلى [illegible].

لقد أصبحت متأكداً الآن من ضرورة [illegible] (؟) [illegible] المكان كان يبدو خالياً [illegible] من الكوخ لكي أعرف ما يجري من كثب (١٥)

انها مستعدة لتقسم بانها رأت رجلين يركضان ، وكانا عاريين لايرتديان اية ملابس على الاطلاق! ثم سمعنا طلقة عيار ناري اخرى ، كان الصوت بعيداً هذه المرة ، وبعد ذلك بنصف ساعة جاء (بيبي) ومعه كلبه (داندي) الى موقع مخيلتنا ، كان حادثاً بسيطاً ما قد ادى الى كسر ظهر كلب بيبي . بعد تلك التطورات امر (مالكولم) سو بالعودة الى الحافلة ثم خرج مع بيبي ليبحث عن الرجلين . حاولت (سو) بعد وصولها الى الحافلة الاتصال برجل الشرطة (روبرت جاكسون) ، لكن (سوزي) زوجته أجابت بانه خرج مع عدد من الرجال ، وتوجهوا نحو كهوف سابل

ادركت (سو) بانها لاتستطيع القيام بأي شيء ، لكنها تحس في هذه الساعة المتأخرة لاخباري بما وقع من احداث ، ولكني انا ايضاً لا استطيع ان اعمل شيئاً ، ماعدا غض النظر عنه ، واللجوء الى النوم

ستيقظت فجراً عند سماعي هزة ارضية اخرى ، شعرت بهذه الهزة لان سريري كان يهتز بقوة ، لم اتمكن من النوم ثانية ، وانما كنت انوي النهوض من فراشي ، سمعت فجأة صوت الباب الامامي للمنزل يفتح بقوة . قفزت من سريري ، وركضت مسرعاً الى غرفة عملي المتصلة بغرفة نومي لكي احضر سلاحي وهو عبارة عن مسدس عيار يرمح استخدمه عندما اغادر البيت ليلاً ، وبدأت اسمع وقع خطوات ثقيلة تمشي بتثاقل ، وهي تصعد درجات السلم

عندما انتهيت من ادخال الرصاص في المسدس ، توقفت الخطوات عن السير ، وبدت كأنها تعود ، ثم بدأت سوى ... توجهت وسلاحي بيدي باتجاه باب غرفة عملي لكي ... وقبل ان اصل اليه وقعت هزة ارضية اخرى ، كانت من القوة بحيث اضطررت الى اسناد نفسي بالامساك بمنضدة عملي لكي امنعها من السقوط على الارض

بعد ثوان قليلة ادركت بانه يتوجب علي محاولة الخروج من الغرفة .

عند وصولي المنزل كانت (كمي) قد جاءت وانصرفت ، كنت في المنزل بمفردي ، وعند صعودي السلم للذهاب الى غرفة العمل ، مددت يدي في جيبي وشعرت على الفور بوجود الصويدة ، اخرجتها من جيبي ، كانت على هيئة حزمة من الريش ، ولكنني بسبب اجهله شعرت بالاضطراب ، فوضعت الحزمة فوق علبة التكييف الحالية الموضوعة في اعلى السلم

ثم اتمتع سوى باستراحة قصيرة في اثناء عملي الطويل ، الذي استمر حتى ساعة متأخرة من الليل ، عندما ادركت فجأة ان الوقت قد قارب منتصف الليل ، فقررت الذهاب الى النوم ، سمعت رنين الهاتف وانا استعد للنوم ، كانت (سو) هي المتحدثة ، وهي تخبرني برجوعها الآن الى الحافلة ، ثم مضت تقول انها عندما كانت تتناول العشاء مع (مالكولم) في الموقع سمعنا نباح كلب بيبي ، ثم سمعنا بعد ذلك صوت اطلاق النار من سلاح بيبي ، وعلى الرغم من شدة الظلام ، قالت (سو)

كنت قد حرصت أمري منذ قراري العودة مع (سو) الى منطقة البحيرة لقضاء الاجازة نسيان القلق الذي يراودني ، ولكنني أخفقت في محاولتي

هناك شيء محير بالنسبة لي ، فقلقي لايرجع الى فقدان الجمجمة ، او ما يتعلق بالمنزل الامر الذي يهدد باستخدام المطلة بل كان عبارة عن احساس غريب بعدم الارتياح اذ شعرت بان المنظر الجميل الهادئ للبحيرة قد انقلب الى جو عدائي غير ودي ، بل حتى احسست انه ينذر بالخطر

لم تحدث (سو) باحساسي المتشائم هذا ، اذ قضينا المدة المتبقية من النهار بمزاولة السباحة ، ثم الاستراحة وتناول الطعام حتى حلول المساء ، وجلسنا معاً لتناول طعام العشاء وكانت الشمس توشك ان تغرب

سألتني سو : اما تزال قلقاً عن المنزل؟ اجبتها : ابداً ، ولكن قد يبدو من الغباء ان اخبرك بما اشعر . اجابتني وهي تكمل عبارتي

بعدم الاحساس بالارتياح ، كأن هناك من يراقبك . وقد يكون ذلك شيئاً كريهاً . كانت (سو) قد عبرت تماماً وبشكل افضل عما كنت اريد ان اقوله

قالت سو : كنت اعتقد ان سبب ذلك قد يعود الى القصة التي اخبرتني فيها عن بيني وشبحه ، لكن اذا كنا نشعر معاً بالاحساس نفسه فانني اود ان اترك البحيرة هذه الليلة

نستطيع ان نأخذ (مالكولم) معنا ايضاً . قد لايريد ذلك ، لكنني لااهتم بمعارضته . انني لااريد قضاء ليلة اخرى في هذا المكان .

لم اكن خائفاً مثلها ، لكنني اطعتها مسروراً . وبعد انتهائنا من شد امتعتنا ووضعها في السيارة ، كانت الشمس قد غربت ، وانخفضت درجة الحرارة على نحو مفاجيء بحيث شعرت ببرودة الطقس

فشلت محاولتي في ادارة محرك السيارة عندما حاولنا السير بها فقد ادى الانخفاض المفاجيء للطقس الى تكوين رطوبة حول الشمعات والكهربائيات الموجودة . كانت لدي علبة تحوي رذاذاً لازالة الرطوبة لكنها فارغة . سألت (سو) فيما اذا كانت ماتزال مصممة على مغادرة المكان ، اجابتني : جداً .

قلت لها : اذن لايوجد لدينا سوى خيارين : نغادر السيارة وامتعتنا ونعود اليها ثانية في الصباح . اذ نستطيع ان نسير حتى المدينة ولانستغرق مسافة مشياً على الاقدام سوى اربعة اميال وعلى الرغم من ان الطريق سيكون مظلماً وان بطارية المصباح ليست في حالة جيدة (٢٠) . او الخيار الآخر ان استمر في محاولة تجفيف محرك السيارة ، وقد يستغرق ذلك العمل ساعة فقط (٢٢)

قالت سو : انت رئيسي ، والقرار يعود اليك .

كان الكوخ من الداخل مظلماً لكنني تمكنت من التعبير خلال بابه المفتوح . كان الكوخ يتألف من غرفة واحدة فقط ، لم يكن فيها احد ، فتجرأت ودخلت ، الاهمال والعفونة يبدوان واضحين تماماً ، اذ علقت خرق بالية من الستائر على النافذة الوحيدة ، سحبت احدى الستائر لكي احظى بمزيد من النور انعكس بصيص من اشعة الشمس على الجدار المواجه للنافذة ، كان هذا الجدار ملطخاً ببقع من الدماء لمستها وكانت دماء يابسة كما وجدت بقعاً من الدماء تلطخ ارضية الكوخ وقطع لاثاث القليلة الموجودة في الغرفة

غادرت الكوخ مسرعاً ، كم شعرت بالارتياح وانا استنشق الهواء النقي ، تجولت حول الكوخ وقد شاهدت اثاراً متعددة لاقدام بشرية حافية كما لاحظت خلف الكوخ الخشبي مايبدو كأنه قبر بني حديثاً

نهنهت أصبحت مشكلة كفي والجمجمة بالنسبة لي ذات اهمية ثانوية ، عدت سالكاً الطريق الخشبي القديم وتجاوزت حديقة منزلي الخصبة لاستمر في سيري متجهاً للمدينة لكي اقابل رجل الشرطة مورت جاكسون

استمع مورت الى روايتي بصمت ، على الرغم من ان التعبير الذي كان يرتسم على ملامحه يوحي بأن ما الرويه لم يدهشه كما توقعت

وقد اجابني بعد ان انتهيت من سرد روايتي «ماتقوله ملائم تماماً لما ذكره جوزيف زوج (كفي بعز) هذا الصباح فهو معتقد بان زوجته (كفي) قد عاودت اتصالها بعابل

لقد صادفت مثل هذه الامور قبل عامين وقد عثر على هذا الشيء مخفياً في حقيبة زوجته» ثم رمى الى المنضدة مايبدو كأنه حزمة من الريش وقال «انها معويذة سحرية»

كنت قد شاهدت قبلاً تعويذات سحرية تعلق على اشجار الفاكهة لابعاد الاطفال عن سرقتها ، وهذه التعويذات كانت عبارة عن قناني تحتوي في داخلها نوعاً خاصاً من المساحيق

قال مورت «هذه تعويذة خاصة ، تتعلق باعمال سحرية حقيقية ، ارجو منك ان تأخذها ، احتفظ بها كتذكار لانك لاتعتقد انني امنحك اياها كدليل مادي ، فهي شيء لايمكن الاخذ به من قبل المحاكم التابعة الرسمية في هذه الجزيرة»

تناولت التعويذة بتردد ، ثم وضعتها في جيبي

قلت له «لكنني متأكد بانني قد رأيت جميع الدلائل التي تشير الى جريمة قتل ، الدماء ، القبر المبني حديثاً

اجابني «قد يبدو ذلك بالنسبة اليك ، لكن يجب ان تصدقني بانه لاوجود لاية جريمة وانني اعلم ما محتوى القبر ، انس الامر وتستطيع العودة الى منزلك (١٣)

لم يرق لي ان يصرفني مورت بهذه الطريقة كأنه يصرف طفلاً صغيراً ومن دون ان يقدم لي تفسيراً مقنعاً قد لا يعنيني الامر لكنني يجب ان اكلم (سيبروك) عنه (١٧)

٦

وعند وصولي أعلى السلم ، لاحظت ان بهو المنزل كان خالياً من البشر والباب الامامي مفتوح على مصراعيه . وحين كنت انزل درجات السلم ظهر خيال لشخص واقف امام الباب المفتوح ، وهو يبدو اسود اللون امام ضياء الشمس القوي الآتي من الخارج .

ثم سمعت صوتاً مألوفاً يقول «لاتطلق النار» كان الشخص رجل الشرطة مورت جاكسون .

سألته «هل رأيت أحداً وأنت قادم الى هنا» . اجاب «كلا ، لكن احد الاحجار الكبيرة التي تدحرجت امام مدخل المنزل أوشكت ان تحطم سيارتي في اثناء حدوث الهزة الارضية . لقد جئت لارى فيما اذا كان المنزل مايزال بحالة جيدة ولم يتعرض للضرر . و بعد اجد ان الهزة قد ادت الى فتح الباب من زجاجه . هل يحتمل ان كل ماسمعته له صلة بالهزات الارضية الاخيرة . سألت مورت عما يريد في هذه الساعة المبكرة

اجابني

«لقد رجعت الى بيتي متأخراً بعد ان امضيت الليلة كلها اعمل في كوخ سابل واني في طريقي الى هناك ثانية . وعلى الرغم من عثورنا على جميع ماكنا نريد ـ فقد عثرنا على العنز المفقودة ـ وكانت اوصالها ممزقة ، ثم عثرنا على الديكين المسروقين ووجدت بقع دماء كثيرة تلطخ ارضية وجدران الكوخ ، وهذه البقع تعود حتماً الى دماء الحيوانات القتيلة . الظاهر ان (سابل) عاودت اعمالها السحرية ثانية ولا اعلم لماذا تقوم بهذه الاعمال حالياً

«مازالت (سابل) متوارية عن الانظار ـ قد تكون مستمرة بالاختفاء حتى تهدأ مشاعر الاشياء ضدها فالسحاء وحدها تعلم مقدار في حدها الآن ، يمكنني القول لك شيئاً ، نهاية هذه القضية ستشبه ما حصل في المرة السابقة الاخيرة . وعلى الرغم من سهري طوال ليلة امضيته فان سابل حال العثور عليها ستغرم بدفع مبلغ من المال بتهمة سرقة العنز والديكين المسروقين»

ثم اضاف قائلاً «واعتقد انك ستواجه مشاكل اخرى ، فقد رأيت سيبروك ، وقال ان السفينة المربوطة (ماري كالاس) قد تعرضت للعطل بسبب الهزة الارضية ، ومعظم فريق الغوص بيده حالياً في رحلة لصيد الاسماك بعيداً عن الجزيرة . كما ان واحداً من البحارين موجود حالياً في الجهة الاخرى من الجزيرة والاثنان الاخران فقد ذهبا مع فريق الغوص الى رحلة صيد الاسماك»

سألته اين اجد سيبروك

اجابني «لست متأكداً ، فهو قد يكون في الحانة ، او في محطة الاذاعة ، يحاول الاتصال بغواصيه ليأمرهم بالعودة فوراً بسبب الحالة الطارئة . كما علمت انه اتصل بالسيد العازار بالبقاء بعيداً وحسب اعتقادي ، لايوجد الآن شيء مستعجل ، فخذ راحتك ، ثم تناول فطورك واذهب الى الحانة (٢٣) ، لكنك اذا كنت تعتقد ان الامر يتوجب السرعة ، فارتد ملابسك ، وسأوصلك الى محطة الاذاعة (٢١) . عليك ان تذهب ، فعلي ابلاغ ما وقع لمدينة ... فور رأيك بسرعة ـ ثم اعتذر بملاحظة هذا الصوب باحثين

عثرت على (سيبروك) في ورشة العمل في الميناء، كان يرفع الغطاء عن عدسات التصوير التلفزيوني التي تستخدم تحت سطح الماء ومعدات الاضاءة التي نستعملها منذ الايام الاولى للعمل حين كنا نفحص السفينة الغريقة.

حدثته بما سمعته واضفت قائلاً: انني قد لا اعتقد بوجود ما يسمى بالسحر، لكنني اي سيبروك بعد المسؤول الاول عن سلامة السيد الفاريز الشخصية، وانني ارى من واجبي ابلاغه جميع ما حصل.

قهقه سيبروك ضاحكاً، وهو يرد:

«انني متأسف، لاتعتقد انني اهزأ منك، لكنني تذكرت حالي، فمنذ سنين عديدة، وحين كنت ما زال شاباً في مقتبل عمره، وقد بدأ عملي هذا في هذه البقعة من العالم، لقد قضيت خمسة اعوام وانا احاول العثور عن الكنوز الموجودة في السفن الغريقة على امتداد ساحل جزر البهاما في اثناء تلك المدة من عملي تعلمت ان كلمة «السحر» ماتزال تعبير عن طريقة الحياة العديد من سكان هذه الجزر، وقد تعلمت احترام عقائدهم هذه.

لابد انه لاحظ نظرة عدم التصديق لدي، فاضاف: «وانا، انني لا اعني بانني اعتقد بوجود شيء اسمه «السحر»، لكنني اعلم بالقدرة التي يتمتع بها الحكماء أو العرافون، فهم اناس خطرون، خصوصاً تلك التي تدعي «بالسابل» بما تملك من معرفة باعمال السحر والتنجيم، فقد رأيت بام عيني اناساً يمرضون فجأة من دون أي سبب ظاهري كما رأيتهم يسمي «بالقتل من مسافة بعيدة» عندما تموت الضحية فجأة وبلا مقدمات» ثم اكمل قائلاً: «قد يكون سبب الموت المفاجيء للضحية تناوله جرعة سم، او قد يعود السبب الى اعتقاد الضحية بذلك السحر، ومهما كان تفسير ذلك، فمن هذا النوع من العمل ينجح في مهمته في القضاء على الضحية».

«ثم عليك الكف عن القلق في الاقل ابداً، فانني اتصلت بالسيد الفاريز، واخبرته بحدوث الهزات الارضية الاخيرة، وطلبت منه عدم الحضور الى الجزيرة حتى تتوقف هذه الهزات او ستكون مخاطرة في بدء عملية انتشال السفينة لان استمرار الهزات يهدد لهذا تجدني اهيء عدسات التصوير ومعدات الاضاءة، لانني اود مراقبة السفينة الغريقة مدة الاربع والعشرين ساعة القادمة وستقوم بهذه العملية سفينة الانقاذ، لايتوفر لدي حالياً سوى غواصيين هما بيتس وستيفنس، اما بقية اعضاء الفريق فهم حالياً يتمتعون باجازة قرب جزر (بيمي) في رحلة صيد بحرية».

سألته هل يستطيع العمل مع وجود غواصيين فقط وكنت اعد نفسي غواصاً متمرساً.

رد علي سيبروك «نستطيع تدبير ذلك، كما ادرك سبب ترددك بعدم التمتع بالعطلة الاسبوعية بسبب اعمال المعرض، لذلك اذا كنت تفتش عن عذر للابتعاد عن عملك، فلن ارفض مساعدتك لي».

بالتأكيد، كان امامي عمل كثير، فمن يتوجب علي العودة الى المنزل لاتمامه (١٣)، ام ابقى بجانب سيبروك لاساعده في اعداد وتهيئة معدات واجهزة التصوير التلفزيونية (١٩)

١٨

هناك أمور كثيرة ينبغي التحدث عنها، لكن من المحتمل أن هذا النوع من القضايا يفضل الكلام والتناقش حوله في غضون ساعات النهار.

غادرت الحانة بعد توديع (سو)، وعدت إلى المنزل. وأثناء صعودي درجات السلم، وضعت يدي داخل جيبي وفوراً شعرت بوجود التعويذة. أخرجتها. كانت عبارة عن حزمة من الريش. لكن هناك أمراً ما فيها لم يعجبني. وضعتها فوق علبة التغليف الفارغة الموضوعة على السلم.

استغرقت بنوم عميق حتى انبلاج الفجر. عندما حدثت هزة أرضية أخرى أيقظتني. وكانت قوية بسبب تحريك سريري وجعل الأثاث يهتز. وهي شبيهة بالهزات الأخرى السابقة. لم تستغرق سوى عدة ثوانٍ. حاولت النوم ثانية، لكن محاولتي أخفقت، فبقيت مستيقظاً في سريري حتى أدركت أن الوقت قد حان للنهوض.

بعد ليلتي المزعجة هذه، كنت مستيقظاً لكنني لم أود النهوض من الفراش. وفي أثناء وجودي في فراشي سمعت صوت الباب الأمامي للمنزل وهو يفتح بقوة، وربما تكون هذه الطريقة الوحيدة لوصف فتح الباب. بعدها فوراً سمعت خطوات قدم. وكانت هذه الخطوات غريبة. فقد بدت كأن أحدهم يسير بخطوات متثاقلة.

صرخت قائلاً: «هل هذا أنت يا سو؟» على الرغم من اعتقادي الجازم بأنها ليست سو.

لم يرد أحد، ثم سمعت بعدها الخطوات وهي تصعد السلالم. شعرت فجأة بالرعب! كان هناك باب آخر موصل بين غرفة نومي وغرفة عملي. قفزت من سريري، ثم ركضت ناحية الباب الموصل بغرفة عملي إذ يوجد فيها سلاح خاص استعمله حين أقوم بالغوص تحت سطح الماء لكي أدافع عن نفسي ضد هجمات أسماك القرش، وهو على شكل مسدس يرمي برمح. تناولت المسدس، ثم سرت ناحية باب الغرفة. توقفت الخطوات فجأة، ثم سمعتها وهي تعود أدراجها حيث أتت. سمعتها وهي تعود أدراجها حيث أتت، وتبدأ في نزول السلم مرة ثانية.

قبل أن أصل إلى باب الغرفة، وقعت هزة أرضية أخرى، وكانت قوية بحيث كان علي أن أمسك بمنضدة العمل الثقيلة لكي أستند إليها حتى لا أقع أرضاً.

مرت بضع ثوانٍ قبل أن تواتيني الجرأة على مغادرة الغرفة (١٦).

١٩

بدأت مدة تهيئة وإعداد عدسات التصوير الفوتوغرافية والأضواء والمصابيح، وربطها بشاشات المراقبة المثبتة على سفينة الانقاذ من بعد الظهر واستمرت حتى ساعة متأخرة من المساء، فاستخدام هذه الاجهزة سيعطينا صورة واضحة لهيكل السفينة الغريقة تحت سطح الماء الأصفر (سيبروك) بعد الانتهاء من عملي على سطول العشاء معه في سحابة قبل عودتي الى المنزل.

قد أكون متمرساً على الغوص تحت سطح الماء، ولكنني لم أكن معتاداً البقاء مدة طويلة تحت سطح الماء، وكان عنائي كبيراً حينما انتهيت من عملي، وكنت أرغب في الرجوع إلى أسرتي لآخذ قسطاً من النوم بعد هذا العمل الشاق. عرض سيمروث علي أن يوصلني بسيارته الى المنزل، لكنني قررت العودة سيراً على الاقدام، إذ كانت المدة الوحيدة التي نتحسس فيها الطقس في الجزيرة، ويصبح الهواء منعشاً، معتدل البرودة هي بعد مغيب الشمس.

حين كنت أوشك أن أترك الحافة، رأيت (سو) تدخل، كان مفترض أن ترجع الى المدينة بمرافقة مالكولم اليوم التالي. لابد أن شيئاً ما قد حدث أدى إلى عودتها المبكرة هذه.

كانت (سو) على علم بأنني سمعت ماقال بيلي عن تحسسه برؤية ووجود الاشباح. لكن الامر يبدو وكأن هذه الامور لم تكن مجرد أوهام وتخيلات كما فسرنا ذلك، قد لايكون هؤلاء اشباحاً، لكن هناك اشياء وقعت في موقع التنقيب، وإن (سو) قد شاهدت هذه الاشياء بعينيها.

وقد وقع الحادث قبل أقل من ساعتين فقط، بعد مغيب الشمس، فقد كانت (سو) ومعها مالكولم توشك أن تنتهي من تناول وجبة العشاء في موقع التنقيب، عندما سمعا نباح (راندي)، كلب بيلي. وكان يبدو من نباحه كأنه يطارد شيئاً ما. ثم سمعا بعد ذلك صوت بيلي مع اطلاق النار من سلاحه، وكان سلاحه هذا يطلق اطلاقات بارود دفعة واحدة لذلك كان الصوت مرتفعاً جداً.

وقد شاهدا بعد ذلك خيالاً لشخصين يركضان، وكانا يبعدان عنهما مسافة مائتي ياردة، لكن (سو) كانت مستعدة لأن تقسم بأنهما كانا يركضان وهما لايرتديان أية ملابس على الاطلاق.

بعد ذلك، ابتعد نباح الكلب، ولكنهما سمعا اطلاقات اخرى من سلاح بيلي تأتي من بعيد. وبعد زهاء نصف ساعة، رجع بيلي الى الموقع من دون كلبه. وكان يبكي، وهو يقول إن كلبه قد مات، فإن شيئاً ما قد كسر ظهره.

أصر مالكولم على أن يعود إلى الحافة بالسيارة. ثم خرج بيلي لتفتيش المنطقة. كان رد فعلي الاول حال سماعي الخبر، هو الذهاب إلى الموقع والمشاركة في تفتيش المنطقة مع بيلي ومالكولم. لكن (سو) مانعت، وكانت مصيبة في رأيها، من أنني لن أتمكن من العثور عليهما خصوصاً لأن الوقت كان ليلاً. ومن المحتمل أن يكون هذان الرجلان من زوار المنطقة السكارى.

وبما أنه لم يكن بوسعي عمل شيء، فما علي إذن سوى الرجوع الى المنزل والاستغراق في النوم (١٨).

الرجوع الى المدينة يعني اجتياز البحيرة مضطرين عن طريق العبارة وهذا الطريق سيوصلنا بالطريق الخشبي القديم الذي يمر قرب الشرق ثم ينحدر حتى يصل الى الماء . اجتازت العبارة الشريط الضيق للبحيرة وهي عبارة عن مجموعة من الالواح الخشبية المربوط بعضها ببعض وهي تسير الى الامام والى الخلف بواسطة حبل يربطها الاشجار الواقعة على ضفتي البحيرة . قبل ان تصل منتصف البحيرة تمكنا من رؤية المصابيح المضاءة ، ونورها يتسلل عبر الاشجار في الضفة المقابلة لنا .

فحسب علمي لايوجد سوى شخص يسكن هذه البقعة المعزولة فكما هو معلوم ان لدى جميع السكان المحليين في الجزيرة حكيماً او طبيب غابة يتجهون اليه للحصول على مختلف المعوذات و الاحجبة كما يشترون منه جرعاً مختلفة من الدواء او السم ، و الاعشاب لمعالجة امراض مختلفة . كانت حكيمة سان سال امرأة اسمها سابين تعيش في كوخ خشبي قديم يقع قرب الطريق الخشبي الذي سنسير فيه بعد نزولنا من العبارة . حال وصولنا وجدت موريت جاكسون ينتظرني . سألته هل وقع حادث لسابين ؟

رد قائلاً : ان هذا يبدو امراً مستبعداً ، لكنني اود تحري الكوخ فجدرانه ملطخة بالدماء ، كما عثر رجالي على بقايا عنز جبلي ، وقد قطع عنقها بالسكين ، كما استخرجت احشاؤها وهذا ليس بالمشهد اللطيف .

وضع موريت يده داخل جيبه ، ثم اخرج شيئاً يبدو كأنه حزمة من الريش ، وناولني اياه .

وقال : انها معويذة سحرية حقيقية ، وحق عليك الاحتفاظ بها كتذكار .

اخذتها منه ، ثم وضعتها في جيبي .

اكمل موريت حديثه : لقد طلبت هذه الحرمة جوزيف زوج (كتي بطلر) بعد ان عثر عليها في حقيبتها ، وقد تكون كتي حظيت بها كمكافأة عمل قامت به لسابين .

اكملت (سو) كلام موريت : قبل الحصول على جمجمة توكايارو رد موريت يحتمل ذلك ، فقد سبق ان تورطت كتي مع سابين . كما ان سابين متوارية عن الانظار ، لكنها ستعاود الظهور ثمة . عاب عن خاطري ان اسألك عما تفعل هنا في هذا الوقت المتأخر من المساء .

اجبته بأنني لم اتمكن من تشغيل محرك السيارة .

قال موريت : سيبقى هنا مدة ما ، لكن اذا رغبتما الركوب معي فسنمضي للامام ، وسيأمر احد رجالي بجلب سيارتك من موقعها صباح غد (١٨) . كما يوجد خيار آخر ، اذ لدي في سيارتي علبة مزيل الرطوبة فلذا انتظرتما خمس دقائق لاجلب العلبة ثم ارافقك سيراً على الاقدام الى مكان سيارتك ، وتستطيع تشغيلها وستلقيه انت بنفسك (٢٤) .

لم تعترض (سو) على مقالة موريت ، وتلمره الثانية وقع على عاتقي اتخاذ القرار ؟

٣

توجه (موريت) ناحية الطريق الخاص الذي يتصل ببوابة المنزل لازاحة بقايا الصخرة المكسورة عن الطريق. توجهت نحو الطابق العلوي لارتداء ملابسي. وجدتني اقف أعلى السلم. فمن المحتمل ان تكون قوة الهزة الارضية جعلت باب المنزل يفتح ،ولكنني قطعاً لم اتخيل خطوات القدم. عندما توقفت هذه الخطوات نهاية السلم ، ثم عاودت هبوطها السلم ثانية. لم ار شيئاً ماعدا علبة التغليف الفارغة ، والتعويذة معلقة فوقها. تناولت التعويذة ، وانا اقول في سري ، ربما كانت تعني شيئاً اكثر من مجرد حزمة من الريش.

ترك (سيبروك) محطة الاتصال اللاسلكية فوراً وصولنا. وكان يحاول الاتصال من غير نجاح باعضاء فريقه من الغواصين الذين يقضون اجازتهم الاسبوعية في مكان يبعد ثلاثمائة ميل عن الجزيرة في رحلة لصيد الاسماك في منطقة جزر (بيري). اتجه سيبروك الى الحانة وجدت (سو) بانتظاري في الحانة ، لكنني لم اشاهد سيبروك ، فهو قد ذهب فوراً الى الميناء ترافقه كل من بيتس وسفنسن ، وهما الغواصان الوحيدان اللذان بقيا من فريق الغوص في المدينة. وقد عرضت (سو) على سيبروك تقديم المساعدة ، ولكنه رفض ذلك قائلاً؟ بانه يستطيع تدبير الامر مع رجاله. اذ ادت الهزة الى ميلان السفينة الغريقة من موضعها الاصلي وهناك خطر يتهددها وهو تدحرجها اتجاه الجدار المقابل من الاخدود. ويتضمن خطة معدات اسعافية تثبيت بعض اكياس الهواء من الداخل ثم نفخها بالهواء لكي نتمكن من تقويم وضع السفينة المائل.

بما انه لم يبق لدي سوى عمل قليل ، اذ ان اعداد المعرض قد اوشك ان ينتهي وربما ان السيد العربي لن يصل الى الجزيرة هذه الليلة. لم تعد امامي مطالب ملحة فقد بقيت في الحانة ، فعندئذ استطيع انا وسو ، وكلانا يعرف الغوص جيداً ان نكون على استعداد فيما اذا احتاجنا سيبروك. فقد وقعت خلال الثماني والاربعين ساعة الاخيرة احداث عديدة نستطيع التكلم حوله كثيراً. لكننا عجزنا عن ايجاد تفسير لها.

شاهدنا (دامركو) ، وهو صاحب الحانة. يظهر مدة وجيزة في الردهة بعد الظهر. وقد سألته (سو) عن اخبار شارلي. فاجابها بعدم وجود أي خبر حوله.

افترضت انها كانت تعني شارلي ، الشخص الذي يشتغل في الحانة ـ وكان شخصاً غريب الاطوار. وكان شكله الخارجي ايضاً يجلب النظر. اذ لم اتمكن ابداً التمييز فيما اذا كان له رأس كبير الحجم ام ان شعره الاسود الكثيف الذي يحيط بوجهه مع غرة طويلة تصل الى حاجبيه هو الذي يعطي انطباعاً بان حجم رأسه كبير.

اخبرتني سو بانه فقد اختفى شارلي ، ولم يشاهده احد هذا الصباح وان فراشه لم يستعمل ، وكل حاجة له عرفته مازال كما في موضعها حتى نقوده (٢٦)

٢٢

عملية تجفيف محرك السيارة استغرق مدة أقصر مما توقعت فمسح الأسلاك الكهربائية للسيارة جعل المحرك يدور ثانية . حينما وصلنا الى موقع السقيب وجدت مالكولم قد انتهى تواً من تناول وجبة عشائه

وقبل ان تتاح لنا الفرصة للتكلم مع مالكولم مستفسرين بسبب قدومه الينا ، سمعنا نباح كلب بني ، ويبدو بوضوح انه يتحرك من نحويتنا وفجأة ، سمعت صوت انفجار قوي – اذ أطلق بيلي عيارات نارية من سلاحه الكبير ، نهضت واقفين ونحن ننظر ناحية المصدر الذي جاء منه الصوت .

كان الظلام منتشراً ، ويكنني لم أغلق مصابيح الاضاءة للسيارة ، والتي كانت مازالت مشتعلة ، فقد ساعدتني على رؤية شخصين قليلاً اذ سقط نور على الاشجار ، ثم شاهدت شخصين خيالاً لرجلين وهما يركضان ، ولكن المسافة كانت بعيدة والظلام دامساً ، فلذلك لم نتعرف على خيال هذين الشخصين ، ويبدو لي كأنهما رجلان لا يرتديان اية ملابس على الاطلاق اي انهما عريانان تماماً . بعد صوت نباح الكلب

سمعنا بعد ذلك طلقات نارية أخرى من مسدس بيلي ، انتظرنا ، وفي تلك الاثناء اخبرت مالكولم عن سبب زيارتنا غير المتوقعة هذه في هذه الساعة المتأخرة ، توقعت انه سيجد صعوبة في تفسير ذلك ، لكنني فوجئت عندما اعترف (مالكولم) ان لديه الشعور نفسه التي انتابته عند البحيرة

وقال بني انه مستعد للمغادرة ، حالما نتأكد من عدم تعرضنا لسوء

اثر انقضاء ساعة من الزمن ، رأيت بيلي ، وهو يحمل كلبه (داندي) بين ذراعيه ، وكان يبكي وهو يقول

«لقد مات داندي ، لقد كسروا ظهره »

سألته بنو «من هم؟»

قال بني : لا اعلم من هم ، اذ لم اتمكن من العثور عليهم على الرغم من وصولي الى منطقة البحيرة العظمى ، وقد رأيت ان رجل الشرطة (موريت) قد جاء مع رجاله من المدينة ، وهم يقومون بحفر الارض المحيطة بكوخ سابل ، كانت (سابل) هذه حكيمة الجزيرة ، وهي تبيع لاهاليها التعويذات المختلفة وجرع الدواء والسموم وغير ذلك

قال بني لم تكن سابل موجودة في كوخها ، وقد قدم لي الشرطي جاكسون هذا الشيء ، وقال انه احدى التعويذات التي تقدمها سابل لزبائنها ، وهي تبعد الاشباح ، وكان (موريت) يعتقد انني مخمور اذ يقول ان الاشباح لا تقتل الكلب داندي ، ارجو منك ان تأخذه

قدم بني لي التعويذة ، كانت حزمة من الريش ، أخذتها منه اذ لم ارغب في مضايقته كثيراً ، ووضعت التعويذة في جيبي ، قال بني انه سيذهب للتفتيش عن سابل

أصر مالكولم على ان نرجع ونذهب الى الحانة في المدينة ، ثم ذكر انه سيرافق بيلي في ملاحقته لهؤلاء الاشخاص ، وقد وافقته بعد تردد

٢٣

بعد هذه الليلة المزعجة والمضطربة، قررت تناول بعض الفطور (كان مورت) قد غادر المنزل، وعدت أدراجي نحو الطابق العلوي لارتداء ملابسي. كان تفكيري منشغلاً بما جرى قبل وصول مورت الى المنزل. قد استطيع ان اقتنع ان الهزة الارضية ادت الى انفلات قفل الباب الامامي للمنزل وفتحه. ولكن كيف افسر خطوات القدمين التي سمعتها جيداً وهي تصعد السلم. كنت قد وصلت الى نهاية السلم في المكان الذي كنت متأكداً من ان الخطوات قد توقفت فيه، وبعدها استدارت لتهبط السلم ثانية. لم ار شيئاً في هذا الموقع ماعدا علبة التبغ الفارغة [illegible]، والتعويذة السحرية مرمية فوقها. تناولت التعويذة، وانا اقول في سري، ربما كانت تعني شيئاً اكثر من مجرد حزمة من الريش.

رأيت انني حينما انتهي من ارتداء ملابسي وتناول الفطور يكون من المحتمل ان سيبروك قد ترك الحانة متجهاً نحو الميناء، لذلك قررت الذهاب الى الميناء مباشرة ورأيت سيبروك في جهة الميناء، وكان مستعداً للتوجه نحو سفينة الانقاذ [illegible] السفينة الغريقة (ماري كالاست) لمواجهة

وضعاً خطيراً. لكن هيكلها الخشبي قد مال، واذا استمرت في ميلانها فانها قد تتعرض للتدمير لان هيكلها سيرتطم بالجدار الصخري المقابل في الاخدود او الشق الكائن تحت سطح البحر.

تضمنت خطة الانقاذ ربط بعض الاكياس الهوائية المصنوعة من مادة الكدانش ونفخها بالهواء تدريجياً لكي تؤدي الى تعديل وتقويم بدن السفينة وارجاعها الى وضعها السابق الذي كانت عليه.

كان سيبروك سيقوم بهذه العملية بمساعدة اثنين من غواصيه فقط، هما (سمس وسلس)، اذ ان بقية اعضاء فريق الغواصين هم الآن يتمتعون برحلة لصيد الاسماك على مسافة بعد ثلاثمئة ميل عن الجزيرة، وذلك لقضاء اجازتهم الاسبوعية المقررة. وكان موقعهم قرب [illegible]. وقد حاولت محطة الارسال اللاسلكية الاتصال بهم من غير نجاح.

قال سيبروك موضحاً خبر المشاكل التي تواجه مورت جاكسون وانه بصدد مواجهة مشكلة ثانية، اذ ان جيرسي (دا ماركو) صاحب الحانة قال ان شارلي قد توارى عن الانظار.

استنتجت انه كان يعني شارلي الشخص الذي يعمل في الحانة. وكان شارلي هذا شخصاً غريب الاطوار، ويبدو على مظهره الخارجي غرابة في الشكل ايضاً، اذ استطيع ان اميز فيه ان كان حجم رأسه كبيراً او انه يبدو كذلك بسبب شعره الكثيف الذي يحيط بوجهه، والسمة الكثيفة التي تسترسل حتى حاجبيه. وظهر ان شارلي لم يستعمل فراشه في الليلة السابقة اذ بقي على حاله. وكل محتويات غرفته الواقعة خلف الحانة كانت على حالها، بضمنها النقود ايضاً.

كان سيبروك ينتظر إكمال شحن المعدات اللازمة في القارب الدوري، لكي يغادر الميناء بعدها.

وقد سألته فيما اذا كان راغباً بمساعدتي في عمله

رد علي من دون تردد [illegible] الى القارب [illegible] ٢٥)

٢٤

تمكنت بو سعته علبه ازرته الرطوبه التي اعطاها في مورت جاكسون من تشغيل سيارتنا العاطله في غضون ثوان قليله فقط وحينما رأى مورت الذي جاء معنا ان المحرك بدأ يعمل ثانيه ، اصر علينا بعدم توصيله الى العبارة

الوقت كان متأخراً ، وقد تساءلت ان وسو فيما اذا كان مالكولم قد ذهب الى النوم في هذا الوقت المتأخر من الليل ولكننا قررنا ملاحقته بالذهاب اليه وقد شعرت بارتياح كبير حينما ابصرت ضوء مصباحه مشتعل عندما اقتربت من موقع شقته

كان سؤاله الاول لايدور حول سبب مجيئنا للموقع ، بل هل ابصرت بيلي ونحن في طريقنا اليه اجبناه بالنفي عقب مالكولم مفسرا الموقف ، على انه كان يوشك ان ينتهي من تناول عشائه عندما سمع نباح كلب بيلي وخطوات اشخاص يركضون في اتجاههم ثم سمع اثرها صوت اطلاق عيار مسدس بيلي الصغير لانه كان يطلق عدة عيارات نارية من المسدس في آن واحد

ثم استمر حديث مالكولم فقد قال انه على الرغم من غروب الشمس فقد ابصر في جهة الاشجار خيالا لشخصين يركضان وكان متأكداً من كونهم رجلين غريبين تماماً بعدها سمع صوت نباح دانداي ثم سمع اطلاق عيارات اخرى وكان مصدرها بعيد جداً ونوه مالكولم حديثه قائلاً ان هذا الحادث قد وقع قبل ساعة من وصولك

اما نحن فقد قدمنا له قدر ما نتمكن تفسيرا عن سبب مجيئنا الى هذا الموقع لم تظهر على مالكولم اية دهشة او استغراب بعد سماع ذلك

اذ اعترف مالكولم ، بانه شعر بالشعور نفسها والاحساسيس المضطربة منذ بداية اليوم اذا رغبنا الانتظار حتى يعود بيلي فانه سيعود معنا الى المدينه لم يكد مالكولم ينهي جملته هذه ، عندما ابصرنا بيلي وهو يحمل كلبه دانداي بين ذراعيه كان يبكي وهو يقول

«لقد مات دانداي فقد كسروا ظهره» سألته سو «من هم هؤلاء الاشخاص؟» اجاب «انني لا اعلم من هم لقد فقدت اثرهم انهم اشبه بالاشباح فالاشباح لاتقتل كلاباً وانني متأكد بانني اصبت احدهم ولكن لم يصدر اي صوت منه ربما يكونون من الموتى الذين قاموا من قبورهم ثانية .

لابد انه لاحظ نظرة الاستغراب المكبرة على ملامحنا لاقواله هذه اجاب «انني اعرف السحرة السابقين ، فهي تقوم باعمال سحرية كبيرة فقد اتت من جزيرة هايتي التي تشتهر فيها السحر و بسجيم كما انها تستطيع ان توقظ الموتى من قبورهم

بدا واضحاً انه لايحاول حواراً الكلام هذا ثم اعلن بيلي انه بعد ان يضع جثة دانداي في المنزل سيخرج ثانية للبحث عن هؤلاء الاشخاص

اصر مالكولم على عودتي ان وسو الى الحانه ، وقال انه سيرافق بيلي في مطاردته لهؤلاء الاشباح بما انني لااستطيع ان احمي نفسي لو (سو) القيام بمطارده اشباح ابديت مو فقتي على رأيه من دون تردد

استغرقت في العمل مدة ساعة . فقد قمت بالغوص مرات عديدة ولم ترجع الى ظهر سفينة الانقاذ إلا قرب الساعة السادسة ، بعد ان نجحت في انجاز عملنا هذا . كانت تنتظرنا برقية ارسلت بواسطة محطة الارسال اللاسلكية تبلغنا بانه تم الاتصال ببقية اعضاء فريق الغواصين ، ولكنهم لن يصلوا الجزيرة قبل صباح يوم الاثنين .

أتت سو معي الى سفينة الانقاذ . وقد صعدت معها على ظهر السفينة . كنت شديد الانشغال بعملي مما صرفني ذلك عن التفكير لكن (سو) لم تكن كذلك . فقد رغبت الحديث عن الاشياء الغريبة التي تقع في الجزيرة ، ومنها اختفاء شارلي لستمر وغير ذلك . لكن الفرصة لم تسمح بها . فلقد حدثت هزة ارضية اخرى عندما كنا نوشك ان نبدأ الحديث . وقد شعرنا بها بصورة غير قوية بسبب وجودنا على ظهر السفينة ، ولكننا عندما رأينا ان القسم العلوي من محطة الارسال معرضة قد تعرض للانهيار فجأة ، ادركت انها هزة ارضية شديدة اخرى !

جاء سيبروك مسرعاً الى ظهر السفينة . لقد كان العمل الذي قمت به اليوم قد ادى الى امساك وتثبيت هيكل السفينة الغريقة ، ولكن بحدوث الهزة هذه فان هناك دلائل تشير الى ان اطراف مقدمة السفينة قد تعرض للانزياح . وانه يريد مالكولم بسرعة . قالت (سو) انها ستذهب الى موقع التنقيب لنبحث عنه ، وغادرت السفينة في غضون دقائق . وكان سيبروك جاهزاً فيها للغوص ثانية .

قال لي وهو يرفض مساعدتي « ليس هذه المرة . فان الامور تتطور بخطورة . انك عالم آثاري وعملك لا يتضمن هذا النوع من المخاطرة » .

لانك لا تستطيع محاججة سيبروك فبقيت على ظهر السفينة انظر بعض الوقت ، وانا اراقب غروب الشمس . كانت السماء الشرقية تبدو شديدة الظلام ومقابل هذا الظلام شاهدت مصابيح طائرة تقترب . لابد انها تحمل السيد الفاريز ولا يوجد شخص في مهبط الطائرات لاستقباله .

لقد كان سيبروك تحت سطح الماء يفحص هيكل السفينة . وانني متأكد ان لديه ما يكفي من المتاعب حالياً وقد اخذت (سو) السيارة من الميناء . اما السيارة الاخرى فانها كانت واقفة قرب الحانة فاذا ذهبت الآن الى الساحل ، وسرت متجهاً الى الحانة لاخذ السيارة ، فانني استطيع ان اذهب بها الى مهبط الطائرة ، وقد استطيع ان اصل في الوقت المناسب لاكون في استقبال السيد الفاريز (٢٠)

ربما ترى (سو) الطائرة وهي موشكة ان تهبط وهي في طريقها الى موقع التنقيب فتعود لتستقبل السيد الفاريز . اضافة الى ذلك فان دماركو صاحب الحانة سيسمع هدير الطائرة ويدرك بانه لا يوجد شخص لاستقبال السيد الفاريز ، لذلك يستطيع بسهولة اخراج عربة النقل التابعة للحانة . فان اسوأ احتمال ، هو ان السيد الفاريز سيضطر الى السير مسافة ميلين في الظلام . فلذا لم اذهب الى لاستقباله فلا يوجد هناك من يلومني على ذلك (٢٧)

كان الوقت يبلغ الساعة السادسة مساء ، وما يزال شاربي مختفياً عن الانظار كما ان (سيبروك) لم يرجع من عمله . اعتقدت ان الوقت قد حان لكي اذهب واعود بمالكولم من موقع التنقيب

قررت اولاً ، التوجه سيراً على الاقدام نحو محطة الارسال اللاسلكية ، فلابد انهم الان قد تمكنوا من الاتصال مع بقية اعضاء فريق الغوص كما يحتمل ان يكونوا على علم بسير الاعمال على سفينة الانقاذ اذ كانوا على اتصال لاسلكي معها

حين بلغت محطة الارسال اللاسلكية علمت ان فريق الغوص في طريق العودة الى سان سال . ويتوقع ان يصلوا الى الجزيرة في الساعات الاولى من صباح يوم الاثنين كما علمت ان العمل في السفينة قد انجز فقد رجع سيبروك مع غواصيه الاثنين الى سفينة الانقاذ

حدثت الهزة الارضية الثانية عندما كنت ما ازال في محطة الارسال اللاسلكية . وقد كانت مدتها طويلة اذ استغرقت نصف دقيقة وقبل ان ننهي بثواني سمعنا صوت ارتطام قوي يقع على سطح بناية المحطة

خرجنا مسرعين نرى ان حزمة اسلاك وعوارض حديدية قد سقطت اذ تعرض للانهيار الثلث الاعلى من سارية المحطة التي يبلغ ارتفاعها ٩٩ قدماً كان منظر الجزيرة من الخارج يوحي بان جميع مبانيها ذات اللون الوردي والاصفر ماتزال بحالة جيدة ، ولكن لابد من أن أضرارا أخرى قد حدثت عدا تحطم سارية المحطة

النقيت سوجال عويدي في الحانة وقد أبصرت انهيار سارية المحطة اما الحانة فلم يحدث بها ضرر نتيجة هذه الهزة

اخبرتهم ان سيبروك وجماعته قد رجعوا الى سفينة الانقاذ قبل حدوث الهزة الاخيرة ، على الرغم من عدم تمكن الاتصال بهم مباشرة بواسطة جهاز الارسال اللاسلكي بالراديو

لم يعد امامنا سوى الانتظار

بعد انقضاء ساعة وصل سيبروك وقال ان كاس الهواء قد نشف وتم تعديل السفينة بطريقة وارجاعها الى وضعها السابق ، لكنه لا يواجه مشكلة ، وهي ان الحبال مربوطة باسفل السفينة قد انحل رباطها . وهو يريد حضور مالكولم بسرعة لخبرته التي ساعدت مالكولم كان على سيبروك العودة ثانية الى سفينة الانقاذ ، وابدت (سو) رغبتها بمرافقته الى هناك

اخذت احدى السيارتين ، وسلكت بها ناحية الطريق الساحلي الشمالي وهو اقصر طريق يوصلني الى موقع التنقيب . وفي منتصف الطريق ، هناك شاهدت وانا اقود سيارتي مصابيح مضاءة لطائرة تظهر في السماء وسط الظلام وكان يبدو ان الطائرة توشك ان تهبط مركب هذه الطائرة لابد ان يكون السيد القارير وليس غيره ولا يوجد احد بانتظاره عندما سيهبط طائرته . فكرت فيما لو استدرت بسيارتي الى الوراء ، ثم اتجهت نحو مهبط الطائرات بغية أصل في الوقت المناسب لكي اكون في استقبال السيد الفارير (٢) لكن هناك حاجة ملحة لجلب مالكولم وهو من اكثر اهمية للعمل ، وحتى لو أدى ذلك الى احتمال اضطرار رئيسنا الكبير السيد الفارير السير على قدميه مسافة بضع ميل حتى يصل الى الحانة (٢٨) ؟ .

٢٧

قلت لنفسي كان لي أن أتمكن من الوصول إلى مهبط الطائرات في الوقت المناسب. يحتمل أن يكون رأيي هذا صحيحاً، ولكني شعرت بالذنب لعدم المحاولة. فالسيد الفاريز ليس شاباً صغير السن، وكنت أزمع في نفسي بأني قد أستطيع حالياً تقديم خدمة له، وذلك بالاطمئنان على وصوله سالماً إلى الحانة.

حين بلغت السطح اتجهت أتمشى باتجاه الحانة، فوجدت أن الوقت مازال مبكراً لوصول السيد الفاريز إلى الحانة حتى لو جاء سيراً على الأقدام. وكما توقعت لم يصل السيد الفاريز إلى الحانة. وقد أخبرني (دا ماركو) صاحب الحانة بأنه لم يسمع هدير الطائرة التي كانت تقل السيد الفاريز. طال انتظاري فأخذت السيارة الأخرى الموجودة قرب الحانة ثم قدتها ببطء متجهاً إلى مهبط الطائرات. كان الطريق خالياً من البشر.

عندما بلغت مهبط الطائرات، وجدت أن ضابط الكمرك الذي يعمل يوشك أن يغادر مقر عمله بدراجته. وقد أخبرني بأن السيد الفاريز قد وصل ثم خرج من المطار منذ مدة طويلة وقد فضل السير على قدميه بعد أن رفض العرض الذي قدمه رجال الكمرك بمحاولة تدبير واسطة نقل توصله إلى الجهة التي يريدها في المدينة. سألت الضابط عن ربان الطائرة التي أقلت السيد الفاريز، أجاب فقد عاد من حيث جاء، إذ كانوا يحتاجونه في بلسو، وقد أقلع بطائرته بعد هبوطه بمدة قصيرة لكي يتمكن من رؤية مدرج الطائرات قبل حلول الظلام.

رجعت بسيارتي إلى الحانة وعلمت أن السيد الفاريز لم يصل بعد إلى هناك. وكان مالكولم قد وصل الحانة، فسألته عن (سو) فأجاب بأنه لا يعلم، وقد جاء سيراً على الأقدام.

وشعر بالهزات الأرضية، وخمن أنهم قد يحتاجونه في السفينة، وتوقع أن يلتقي شخصاً لديه هناك لكي يصحبه إلى السفينة، وعندما لم يظهر أحد قرر المجيء وقد بقي هناك لكي يتابع الأحداث، ولأنه سيكون في أتم اليقظة والاستعداد ... وإبلاغهم بما يقع من أحداث.

دار في خاطري أن من المحتمل أن تكون (سو) قد استدارت بالسيارة، والتقت بطريقها بالسيد الفاريز وهو في طريقه من مهبط الطائرات، ثم ركب معها، ورافقها إلى موقع التنقيب لجلب (مالكولم) قبل العودة إلى الحانة.

هذا ما فكرت به ولكني على الرغم من ذلك لم أعتقد بصحة هذا الاحتمال.

ولما كنت أعلم بأنهم يحتاجون (مالكولم) في السفينة فقد قررت أخذه معي إلى الميناء. وقد أجد (سو) حال عودتي من الميناء قادمة من موقع التنقيب ربما بصحبة السيد الفاريز أو من دونه. وإذا لم تعثر على السيد الفاريز، فلابد من القيام عندئذ بحملة تفتيشية للبحث عنه، ففكرة أن يضل صاحب العمل طريقه في الجزيرة تبدو غير مقبولة.

رافقني (مالكولم) خلال رحلتي القصيرة للميناء لأجل الاتصال، وقد مررنا بطريقنا بكنيسة (سان كراتية). لفت نظري باب الكنيسة الأمامي وهو مفتوح كما أن ضوء الشموع مشتعلة داخل الكنيسة، ويبدو أنني لم أر الكنيسة تفتح أبوابها ليلاً، فقررت التوقف وإلقاء نظرة. بعد ذلك خرج مالكولم معي من السيارة واتجهنا معاً إلى داخل الكنيسة لكي نلقي نظرة سريعة عليها. (٣١)

كان بمعرض أن يخمن (دا ماركو) حال سماعه هدير الطائرة من هو الشخص الذي سيستقلها. ويدهش شخص أبو سمعة غريبة النقل بمتابعة الحانة لاستقبال السيد الفارير لأنه يعلم جيداً عدم وجود شخص يستقبله في المطار.

كان الضياء الأحمر الخافت للشمس الغاربة يوشك أن يختفي والظلام من أنا الانتشار حينما وصلت إلى موقع المنقب ولكن هذا الضياء الخافت كان كافياً لكي أرى موقع المنقب خالياً من البشر. وقد أخذت معه مالكولم جميعها مع بعد القليل من معدات مستقبلة. أبصرت شخصاً يقترب مني. لقد كان بيتي.

قال بيتي: رأيت مصابيح سيارتك تقترب، فقد كنت أتوقع قدوم أحدكم. أما بخصوص مالكولم فقد عاد إلى الحانة سيراً على الأقدام بعد خمس وعشرين دقيقة تقريباً من شعوره بوقوع الهزة الأرضية وبعد قرر مغادرة المكان لأنه يعتقد بأن فريق العمل سيكون محتاجاً لخدماته.

كانت لدي رغبة بالحديث مع بيتي، لكنني كنت أدرك أن أمامي أشياء أخرى أكثر أهمية، وهي قضية السيد الفارير الذي قد يكون وصل الحانة الآن ولم يجد أحداً في استقباله فاعتذرت وودعته عائداً إلى الحانة.

كنت أتوقع أن أجد السيد الفارير قد وصل الحانة قبلي حتى لو كان يسير على قدميه. لكن توقعي قد خاب. فلم أجد السيد الفارير حينما وصلت الحانة، وقد أخبرني (دا ماركو) صاحب الحانة بعدم سماعه هدير الطائرة. عدت بسيارتي إلى مهبط الطائرات لأرى أن ضابط الكمارك يوشك أن يغلق مراحته والعودة إلى المنزل.

أخبرني ضابط الكمارك، بأن السيد الفارير قد وصل بالطائرة، لكنه غادر المكان سيراً على الأقدام. وكان العاملون في الكمارك قد عرضوا عليه أن يحصلوا على واسطة نقل لكي يعود فيها إلى المدينة ولكنه رفض ذلك وقال إن وصوله كان غير متوقع، وإنه يفضل السير على قدميه.

سألته أين هي الطائرة والربان؟

أجابني: لقد أقلعت الطائرة بربانها وعادت إلى (ناسو) ثانية لأنه يحتاج إليها هناك. وبسبب إقلاعها السريع هذا رؤية مدرج الطائرة قبل حلول الظلام.

سقت سيارتي ببطء وأنا عائد إلى الحانة، وكنت أرتقب جانبي الطريق عسى أن أشاهد أحداً، لكن الطريق كان خالياً من المارة. للمرة الثانية خاب ظني، إذ لم يصل السيد الفارير إلى الحانة. ولكن مالكولم كان موجوداً فيها.

قلت لهم إنني سأقوم بإيصال مالكولم إلى الميناء، وهو يستطيع من هناك أن يستقل زورقاً إلى سفينة الإنقاذ.

وفي الوقت نفسه يقوم مالكولم بإخبار سيبروك عن وصول السيد الفارير. ثم أعود بعدها لكي نقوم بالإجراءات اللازمة للقيام بحملة تفتيشية للبحث عن السيد الفارير. إذ يجب أن لا ندع الرجل يضل طريقه تائهاً في الظلام.

لكي نصل الميناء، كان علي المرور بكنيسة (سان كرفة). وقد أبصرنا الباب الأمامي للكنيسة مفتوحاً، كما رأينا شموعاً مشتعلة داخلها. وبما أنني لم أشاهد قبلاً الكنيسة تفتح أبوابها ليلاً وخصوصاً في مثل هذه الساعة المتأخرة، أوقفت السيارة، ونزل مالكولم معي ثم مررنا بجوار الباب الأمامي للكنيسة (٣١)

٢٩

كنت جالساً في ردهة الحانة وانا امني نفسي بعدم وقوع شيء في الاقل بالنسبة للساعة التالية وقد ابصرت نقس نيكولاس مقبلاً باتجاهي وحينما وصل جلس بجانبي على احد الكراسي الموجودة في الردهة

ثم كلمني قائلاً «يجب التحدث معك فقد وصلني نبأ يفيد ان سيروك منشغل بالغوص حالياً وبما انك الشخص الذي يليه في الناحية الوظيفية، فانني قررت اجراء الحديث معك فلقد سمعت الليلة اعترافاً غريباً للغاية وانت تدرك جيداً بانني لااستطيع الافصاح عن الاعتراف، ولكن ذلك لن يمنعني من اخبارك شيئاً ينبغي عليك ان تعرفه

«كما تعرف، فانني قد خدمت في سلك الرهبنة عدة اعوام في جزيرة هايتي وكان لابد ان اتعرف في غضون مدة مكوثي هناك على بعض المعتقدات السحرية للجزيرة ومن معرفته جعلني اتوصل الى قناعة بان «سامل» يحاول القيام باعمال سحرية شبيهة بتلك التي تحدث في جزيرة هايتي واني اؤكد على كلمة «محاولة» هل سمعت عن عملية احياء الموتى من قبورهم ويطلق على هؤلاء (زومبيا)؟

كنت قد سمعت بهذا السحر، وهو ان هناك اعتقاداً يقول بان بواسطة استعمال الاساليب السحرية يمكن احياء الاموات الذين لم يمض على وفاتهم وقت طويل، ورغم ان ذلك قد يكون ضد ارادتهم، كما يمكن جعلهم يعملون في الحقول بعد توقيع عدد قليل منهم ومن دون اية اجور

كان هذا هو المفهوم العام عن كلمة زومبيا، وبدى نقس نيكولاس تأييده لما ذكرت، ولكنه أضاف قائلاً «ممكن يوجد هناك نوع اخر من هؤلاء الموتى المعادة اليهم الحياة اذ يدعي البعض ان البعض من كبار السحرة والعرافين يستطيع خلق جسد بشري من مزيج كريه من الدماء والعظام، وتراب القبور وبعدها يستطيع هؤلاء السحرة وضع ارواح في هذه الاجساد قد تكون روح احد الاموات من مدة بعيدة، وهؤلاء يكونون شديدي الطاعة لاوامر الساحر الذي يخلقهم كما يقال يصنع عن هذه العملية، بانها اخطر عمليات السحر، ولايستطيع القيام بها سوى من وصل الى مرتبة عليا من الكهان أو الكاهنات ولا (سامل) تنتمي الى هذه الفئة الاخيرة

قلت: «لايمكنك تصديق ذلك»

اجابني القس نيكولاس «ان تصديق ذلك ليس هو المهم في القضية لكنني متأكد بأن (سامل) قد حاول القيام بهذه العملية قبلاً وقد حاولها للمرة الثانية ايضاً وفي كلا المرتين كان السيد القارير حاضراً في الجزيرة لذلك اعتقد انها تريد الحاق الاذى به»

كنت افكر بجمجمة اللوكاين المفقودة والمعويذة السحرية اخرجت التعويذة من جيبي ووضعتها على اريكة تقع بيننا نظر القس الى التعويذة ملياً ثم قال

«انها تعويذة سحرية تحمي مالكها من تعرض ارواح الموتى اليه»

بسبب مشاغلي الكثيرة وقلة النوم ، ولذلك فكرت بانها فرصة لكي استريح من قدمي ، وربما سيمنحني ذلك قليلاً .

واما بدوري عرضت به وضعاً دقيقاً لسير العمل في السفينة الغريقة وما استجد من امور . قال السيد الفاريز بادئ ، فالامر اسرا مما حدثني به سيبروك . وفي هذه الحالة ، فانني اشعر بالارتياح لانني جئت . فانني ارغب في رؤية مهمة العملية حتى لو انتهت بالفشل .

ذكرت له انه اذا كان هناك شخص يستطيع انقاذ السفينة الغريقة ، فانه سيكون حتماً سيبروك

اجابني فانني افهم ذلك جيداً ، ولكنه اذا مافشل في تحقيق النجاح للعملية ، فان حالته ستكون اسوأ ، لا علم انني بجانبه ... انني من المتحمسين لانجاح العملية .

شعرت باحساس ودي ناحية السيد الفاريز ، فانا لم التق به سابقاً سوى مرة واحدة ، وكان ذلك لمدة وجيزة .

اما الآن ، فانني اجده شخصاً لطيفاً متواضعاً وهذه الصفات لاتطابق الصفات التي اضعها في ذهني لرجل اعمال شديد الثراء .

بعد وصولنا الحانة ، رفض السيد الفاريز تناول شراب المرطبات ، وطلب التوجه الى غرفته فقد لاجل ان ينام قليلاً ، ثم قال انه يامل ان نكون هنا لكي نتناول العشاء معاً ، وكان يقصد (سيبروك) و (سو) وانا في هذه الدعوة .

وصل مالكولم ، وكان قلقه واضحاً بسبب الهزات الارضية ، وكان قد جاء سيراً على قدميه من موقع السفينة ثم غادر بعد ذلك فوراً الى الميناء .

عندما رجعت (سو) الى الحانة ، اخبرتها بتفاصيل ماجرى ، فقررت انه من الافضل لها ان تبقى على ظهر سفينة الانقاذ وارسال اخبار تفاصيل سير العمل الينا ، وهل سيكون تناول العشاء معاً ممكناً

ابصرت السيد الفاريز وهو يعبر الطريق ، وعلى مسافة غير بعيدة عن مهبط الطائرات ، ولم يكن برفقته احد ، اوقفت سيارتي ، وقد تعرف علي فوراً ، على الرغم من انتشار الظلام

ثم قال لي تقبل تقديم اعتذاري ، فالخطأ يقع على عاتقي ، اذ اتخذت قرار السفر في اللحظة الاخيرة ، وقد حاول ربان الطائرة الاتصال بكم بواسطة اللاسلكي ولكن من دون نجاح ، ثم علمت ان محطة الارسال اللاسلكي للجزيرة قد تحطمت بفعل الهزة الارضية .

سالته عن الطائرة وربانها

رد علي ، لقد عاد الربان بالطائرة الى (ناسو) ، لاجل ايصال رسائل تجار مهمين من ميامي صباح غد ، وكان من الضروري مغادرة الطائرة قبل حلول الظلام لكي يتمكن الربان من رؤية مدرج الاقلاع .

ساعدته على الركوب معي في السيارة ، ثم استدرت عائداً الى الحانة

واستمر حديث السيد الفاريز معي فقال

ـ اريد ان اقول لك ايضاً ، بان رجال الكمرك عرضوا علي خدماتهم بالحصول على واسطة نقل ولكنني رفضت اعترف بانني شديد التعب

٣١

وجدت السيد الفارير بجسده النحيل وشعره الابيض ، وكان بمفرده راكعاً قرب مذبح الكنيسة ، يبدو عليه الاستغراق العميق في صلاته ، شعرت بانه ليس من حقي ازعاجه ، لذا اغلقت باب الكنيسة خلفي بهدوء ، ثم سرنا ناحية الجهة الخلفية للكنيسة بعدها وقفنا منتظرين انتهاء السيد الفارير من صلاته

سمعنا صرير باب الكنيسة الخافت وهو يفتح ، وقد شعرنا بان شخصاً قد دخل ورمنا فالتفت لابصر شخصاً واقفاً خلف الباب وعلى الرغم من قلة النور فان شكله بدا مألوفاً لدي وقف هذا الرجل لحظة قصيرة ، ثم تحرك ببطء نحو الجناح الوسطي قرب المذبح حيث يركع السيد الفارير ثم سقط نور الشموع على وجهه فعرفته فوراً لقد كان شارلي ، الشخص المختفي الذي يعمل في الحانة

صدر من مكان ما في عتمة الظلام ، صوت خافت لكنه بدأ يرتفع تدريجياً ، وكان يشبه عويل الريح بدأ نور الشموع بالتوهج . نظرت نحو الناحية التي يقف فيها شارلي وجدته منحنياً الى الامام ، كان قوة ما تجذبه وظهر كان شعر رأسه يعود الى الوراء ، ورأيت ان ملابسه التي يرتديها تضغط عليه باتجاه القسم الامامي من جسده بحيث لم اشعر ان شخصيتي بشيء

كان شارلي يبدو كأنه يقاوم قوة قوية اعترته ، ومع ذلك استمر يتحرك الى الامام ليقترب من مذبح الكنيسة ، نهض السيد الفارير من ركوعه والتفت الى الوراء لابد ان يكون السيد الفارير قد جفل من المشهد الغريب الذي واجهه لم اتمكن من رؤية الوجه الذي كان السيد الفارير ينظر اليه الآن ، فهذا الوجه لاتستدل عليه الان خصلة الشعر السوداء لكنني كنت ارى بوضوح وجه السيد الفارير ، لقد ارتسمت على ملامح وجهه معالم الرعب فقد فتح فمه ، كأنه يريد الكلام وارتفع ضياء نور الشموع فجأة ثم انطفأت جميعاً مرة واحدة ليحل ظلام دامس في الكنيسة

سمعت صوت عراك استمر مدة قصيرة ، ثم خطوات اقدام تسير بتثاقل وتعثر ، تلا ذلك صوت مرتفع وهو يقول بلهجة آمرة ، توقف ايها السيد ميخائيل سير ستروس الفارير ، غادر هذا المكان ، انني لا استطيع انقاذك .

سمعنا ثانية الخطوات المتثاقلة والمتعثرة ، اثرها سمعنا خطوات اخرى شبيهة تسير ورائها ثم فتح باب الكنيسة ومن الخارج سمعنا صوت صفعة قوية ، صوت لاصطدام مدو يصم الآذان تلا ذلك سكون شامل وقبل ان تدرك ماوقع ، وازاء ما نرى وعلى نحو غير معقول ، اشتعال نور الشموع ثانية بعد انطفائها قبل دقائق لم نكن نحن في الكنيسة ركضت متجهاً ناحية الباب

كان صحن الكنيسة مسدوداً بالصخور وقطع الحجارة المكسورة وتحت الانقاض مجموعة الصخور منوبة بالاصفر ، ابصرنا يداً بشرية لونها ابيض لكنها ملطخة تماماً بالدماء (٣٣)

٣٢

خرجت جموع من الناس إلى الشارع إثر سماعها الصوت المدوي وبدأ عدد منهم في تحريك قطع الأحجار والصخور وقد عثروا تحت الأنقاض على جثتي السيد الفرير والشخص الذي يدعى شارلي وقد اتضح أن تمثال كريستوف كولمبس الضخم قد سقط عليهما فور مغادرتهما الكنيسة مما أدى إلى وفاتهما فوراً

في الساعة الرابعة من صباح يوم الاثنين وقعت في (سان سلفادور) هزة أرضية أخرى وقد ظهر أنها كانت الهزة الأخيرة من سلسلة الهزات الأرضية التي تعرضت لها الجزيرة وكان الرجل المشرف الذي يقوم بنوبة عمله في تتبع السفينة الغريقة من على شاشات التلفزيون ، عندما وجد أن الصور قد انقطعت عن البث فجأة كما أبلغ عن حدوث تيار مائي مضطرب في المكان الذي تقف فيه سفينة الإنقاذ

بعد شروق الشمس ، قام (سيبروك) ومعه فريق من الغواصين بالغوص تحت سطح الماء ليستكشفوا ما حدث قبل ساعات قلائل لكنهم لم يعثروا على أثر للسفينة الغريقة ، كما لم يعثروا على أثر للشق الأرضي الصخري الذي كانت السفينة تستند إليه فقد تعرض للانهيار بسبب سلسلة الصخور التي كانت تشكل الأرض تماماً مما أدى إلى تدحرجها نحو الأسفل إلى قعر المحيط بمسافة تقدر بستة آلاف قدم ، جارفة معها السفينة «ماري جالانت»

السبب الوحيد الذي دون في محضر التحقيق عن وفاة السيد الفرير وشارلي كان «الموت نتيجة حادث»

سقوط تمثال كولمبس كان متوقعاً بسبب موقعه غير المأمون ، وكانت الهزات الأرضية الأخيرة السبب الرئيس لسقوطه المحتم وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت هناك أسئلة كثيرة لم يجد المحققون جواباً لها منها لماذا دخل السيد الفرير الكنيسة في تلك الساعة المتأخرة؟ لماذا اختفى شارلي عن الأنظار ليظهر ثانية فجأة في تلك اللحظة المميتة؟

وماذا عن الأشياء الغريبة التي وقعت داخل الكنيسة أثناء وجود السيد الفرير وشارلي فيها؟ ماذا عن الكلام الذي سمعته أنا و«مالكوم» الذي كان يقول ، اترك هذا المكان إنني لا أستطيع إنقاذك. انقذه من وماذا؟

وكما توقع موريت جاكسون سابقاً ، عاودت الظهور ثانية المرأة التي تدعى (سابين) وقد تم حبسها ثم غرمت بمبلغ من المال متهمة بسرقة الصور والديكور المسيحيين وعلى سراحها بعد أن سددت الغرامة وقد سمعت أنها قد غادرت الجزيرة نهائياً بعد خروجها من السجن

أما أنا فقد فقدت ملاك التعويذة السحرية ، وقبل أن أقوم بدسها أريتها للقس الذي قضى عدة أعوام يخدم سلك الرهبنة في جزيرة هايتي وقد أخبرني أنها تعويذة تحمي صاحبها من أرواح الموتى

فالذكريات ، مهما كانت أليمة ، ستختفي تدريجياً من الذاكرة ، ولكنني ما زال حتى هذه اللحظة ، أتذكر حين أمعنت نظري في الكنيسة قبل انطفاء الشموع وتعابير الرعب المرتسمة على ملامح السيد الفرير ترى ما هو هذا الشيء المخيف الذي أرعبه ، ولم أتمكن أنا من رؤيته؟ لن أعرف ذلك أبداً كما لم أنس منظر رأس شارلي المحطم تماماً بحيث لا يمكن تمييزه ومعرفته

٣٣

سألني القس «أين أجد السيد الفاريز هذه اللحظة؟»

أخبرته أنه يأخذ قسطاً من الراحة في غرفته

قال «هل أنت متأكد»

لاتوجد سوى وسيلة واحدة ستأكد من وجود السيد الفاريز في غرفته. فالقس نيكولاس لن يقتنع مالم ير بنفسه السيد الفاريز. كانت غرفته تقع في الطابق الارضي، وهي تطل على حديقة الحانة

اثناء توجهنا الى غرفة السيد الفاريز، ونحن مانزال في منتصف الممر الذي يوصل الى غرفته التقينا باحدى الخادمات المسؤولات عن غرف نوم النزلاء. كانت تصرخ بحالة هستيرية مما اضطر القس ان يبقى معها لكي يهدئها، بينما اسرعت أنا الى الغرفة. كان بابها مفتوحاً، وفي الجهة المقابلة لي حيث يفترض ان ارى موقع النافذة، رأيت بدلاً من ذلك ثقباً كبيراً بجوف الجدار. دخلت، كانت معظم الحاجيات وقطع الاثاث الموجودة مقلوبة ومبعثرة في ارجاء الغرفة. ثم ابصرت على حافة منضدة الزينة اثراً لبقعة من الدم. اما السيد الفاريز فلم يكن له اثر. خرجت، ومن دون أن امس شيئاً فيها

وبعد خمس عشرة دقيقة وصل المفتش رجل الشرطة (مورت جاكسون) وقام بتفتيش دقيق لغرفة السيد الفاريز، ثم خرج الى الحديقة، التي تطل نافذة الغرفة عليها. وقد قضى وقتاً طويلاً في الحديقة

كانت (سو) قد رجعت الى الحانة في اثناء تلك المدة، وقد استدعانا مورت لاجل مقابلته في ردهة الحانة

قال أثناء مقابلته لنا: «ليست لدي فكرة عما حصل في الغرفة، لكنني فتشت الحديقة جيداً. وجدت حشيش الحديقة مغطى بطبقة سميكة من الندى، كما عثرت على آثار لاقدام عديدة، بعضها كان آثار اقدام عارية. لايوجد لدي سوى احتمالين: اولاً ان يكون الاشخاص مجهولو الهوية اقدموا على اختطاف السيد الفاريز، وفي هذه الحالة فان السيد الفاريز اما ان يكون ميتاً أو مايزال حياً ومحفوظاً من قبل هؤلاء المجهولين. أما الاحتمال الثاني فقد يعتمد على الاستنتاج الذي توصلت اليه بمعرفة آثار الاقدام، وقد لااكون مثل حذاقة (شرلوك هولمز) بمعرفة دلائل الجريمة. فالاحتمال الذي اعتقده هو ان السيد الفاريز هارب، وهو اما يكون مختفياً في مكان ما أو ما يزال يركض هارباً في مكان ما في الجزيرة. وسابدأ بحملة تفتيشية للبحث عنه فوراً. ومحطتي الاولى ستكون منطقة الميناء وذلك الجزء من المدينة

ثم التفت نحو (دا ماركو) وقال له

«خذ انت سيارة الشحن وفتش الطريق الساحلي المتجه جنوباً» .

اومأ (دا ماركو) برأسه موافقاً. ثم استمر مورت جاكسون باعطاء تعليماته فقال

«ستبقى لدينا سيارتان. هل تعرف سياقة السيارة يا ايها القس؟» .

اجابه القس بانه يعرف السياقة. ثم نظر مورت نحونا (انا وسو) وقال «تبقى سيارتكما. امامكما الان خياران: اما ان تذهبا الى مهبط الطائرات والطريق الساحلي المتجه شمالاً (٣٧)، أو تتجها نحو الطرق الخلفية من المدينة (٣٥)

٣٤

تذكرت الكلام الذي غمغم به السيد ميقيل الفاريز أثناء عثورنا عليه كان يريد الوصول الى الميناء ، والحصول على قارب استدرت بسيارتي ، وتقلت عائداً بها فوق الطريق ، كنت أسوق بسرعة متجهاً جنوباً نحو تقاطع الطرق حيث استطيع الاستدارة والانعطاف لكي أصل الى الطريق الذي ينحدر نحو جهة الميناء

قبل نهاية ذلك الطريق بنحو مائة يارده ، كشف نور مصابيح سيارتي صفاً من الاجسام تقف وسط الطريق امامنا مباشرة

قالت سو «لايستطيعون الوصول الى هنا قبلنا ، كنت لا ادري ما يجري ، على الرغم من اعتقادي احتمال ان يكون هؤلاء من مخلوقات ساين» ، ويحتمل ايضاً ان يكونوا منتشرين في ارجاء المدينة

قال بيني «من المحتمل ان من يقف امامنا ، هم من الموتى الذين قاموا من قبورهم ، وهم يظهرون كأنهم بشر حقيقيون ارجو ان تستمر في السوق ، فان آلتك الحديدية هذه كفيلة بالقضاء عليهم!»

كانوا على مسافة قريبة جداً منا ، وعلى الرغم من ذلك لم يتحركوا ساكناً قد يكون بيني على صواب ، فهم من الموتى الذين قاموا من قبورهم ، لكنهم يشبهون البشر العاديين لم أتمكن من دهسهم فأوقفت السيارة بقوة امامهم

قال بيني سأطلق النار عليهم بمسدسي هذا وهذا سيمنعهم من الذهاب الى مكان آخر قبل ان اتمكن من منع بيني عن الخروج من السيارة ، كان قد خرج واقفاً وحده امام اثني عشر مخلوقاً لابد انهم سيتمكنون من تمزيق اوصاله ، نفرت من السيارة وانا اركض وراء بيني بدأت هذه المخلوقات بالتراجع الى الوراء ، ربما اعتراهم الخوف من رؤية مسدس بيني ، وفجأة اختفوا عن انظارنا! كأنهم تبخروا في الهواء بعد ذلك رأيت (سو) قد تبعتني ايضاً

سألتها «اين السيد الفاريز ؟

لم انتظر ردها فقد كانت السيارة وراءنا وهي تبعد عنا زهاء خمسين ياردة لكنني رأيتها ، وبدأت بالركض فان السيد الفاريز اختفى تماماً من مكانه في السيارة

عثرنا على موريت قريباً من البناء واستمر البحث عن السيد الفاريز طوال الليل وعند انبلاج الفجر ، بدأت الطائرات القادمة من (ناسو) تهبط في الجزيرة وفي غضون ساعة كانت الجزيرة تعج برجال الشرطة

رافق (بيني) فرق البحث التي كانت تفتش من غير طائل عن السيد الفاريز وكان التعب والانهاك بادياً على (سو) بحيث لم تستطيع الوقوف على قدميها ، فاضطررت الى العودة الى الحانة لتأخذ قسطاً من النوم اما انا فقد نسيت (سيبروك) والسفينة ماري كالانت في الساعات الاخيرة هذه لذلك قررت الذهاب الى الميناء لاراقب تطور الامور هناك ، وحال وصولي كان سيبروك ومعه كل اعضاء فريق الغوص في طريقهم لانتشال السفينة ماري كالانت (١٤٥)

٣٥

كنت ارغب في التوجه ناحية الميناء للبحث عن السيد الفاريز ، لكن (روبرت جاكسون) قرر شخصياً الذهاب الى تلك المنطقة . لذلك فكرت باحتمال آخر ، هو التوجه نحو مهبط الطائرات ، باعتباره المكان الوحيد الذي يعرفه السيد الفاريز جيداً . لكنه نعلم جميعاً بأن هذا المكان يغلق أثناء الليل . لم يبق لدينا سوى التوجه نحو الطرق الخلفية من المدينة على الرغم من أملي الضعيف بالعثور عليه هناك .

وفي أثناء طريقنا حدثت مفاجأة لي عندما صرخت (سو) ، وهي تأمرني بالتوقف . وكنا قد وضعنا مصباحاً كاشفاً فوق سطح السيارة ، وقد استخدمته (سو) لكي تكشف بدقة جانبي الطريق ، وقد شاهدت شيئاً يتحرك بين الأشجار المطلة من ناحية البحيرة .

كانت المسافة بين الأشجار واسعة ، فاستدرت بالسيارة وانحرفت عن الطريق متجهاً نحو الأشجار ، وعلى مسافة لا تبعد عنا سوى ياردة سقط نور مصابيح السيارة على هيئة لشخص يسير أمامنا بخطوات متثاقلة ومضطربة ، وما أدار الشخص رأسه عندما سقط النور عليه ولكننا كنا متأكدين بأنه السيد الفاريز .

توقفت ، ثم نزلنا من السيارة ، غير أنني تركت المصابيح مضاءة لكي تنير لنا الطريق . كنا قريبين جداً منه ، ولكنه بدا كأنه لم يشعر بوجودنا . لابد أنه تحت تأثير صدمة كبيرة - واقتربنا بجانبيه ، ورأيت وجود جرح على جبهته ، وكان يبدو في شبه غيبوبة . فمن المحتمل أنه لم يتعرف على كلينا ، غير أنه بدأ يتمتم بكلمات تدور حول رجال عراة في غرفته ، وكيف تقدم شخص ذو شعر أسود غريب الشكل في مساعدته على الهرب ، وأخبره بالتوجه ناحية الميناء ليستقل قارباً من هناك ينقله الى مكان آخر بعيداً عن الجزيرة . لكنه لابد قد اتجه الى مكان آخر غير المكان المقصود ، وهو الميناء .

كنت ما زال أطمئنه بأن كل شيء قد انتهى ، وهو الآن في أمان ، عندما أمسكت (سو) بشدة على ذراعي ، وأشارت بيدها .

رأينا رجالاً يخرجون من بين الأشجار وهم يتحركون ناحيتنا ، ومظهرهم كما كشف نور السيارة يدل على أنهم عراة تماماً ، ولا يرتدون أي شيء . على الاطلاق التفت الى الخلف ، فرأيت مجموعة أخرى تقترب من الجهة المقابلة . فقد ظهر لي كأنهم يحاصروننا من جهتين . سمعنا صوتاً يقول لهم :

« تحركوا جانباً ، دعوهم يمرون . ان سلاحي موجه اليكم . واعتقد أن أحدكم قد قتل كلبي . ولذلك فأنا مستعد جداً لاطلاق النار عليكم » .

لقد كان هذا صوت (بيبي) وقف وراءنا وبيده مسدسه الكبير . وفعلاً توقفت المخلوقات التي كانت تقترب منا (٣٦)

قال «بل سيمنعهم سلاحي هذا من التقدم ، والافضل لكم انتم الثلاثة التحرك نحو سيارتكم ، واني سأقوم بحمايتكم ثم الحق بكم فيما بعد» ظهرت (سابن) فجأة وهي لاتبعد سوى مسافة قريبة عنا ـ ثم قالت

«يالك من غبي بائس بوبيع ، فسلاحك هذا لايمنعهم من التقدم ، فانهم مخلوقاتي التي صنعتها بيدي ، وقد توقفوا عن السير لانني رغبت بذلك» ثم اضافت وهي تشير الى السيد الفارير

«انني اريده هو فاتركوه معي ، اما انتم فتستطيعون مغادرة المكان ، فمخلوقاتي لن تمسكم باذى»

لم يتحرك أحد منا

صرخت وهي تقول «اتريدون معرفة السبب؟ انه يعلم جيداً بسبب ذلك ، الا يستطيع ان يخبركم به» .

اجبتها «لقد تعرض الرجل لصدمة كبيرة وهو مصاب بجرح ، انني اشك في انه يدرك حتى ما يجري الآن»

قالت «واه ، لكنه يعلم سبب ذلك ، وان كنت ترغب بتفسير فسأقدمه لك» .

وفي هذه اللحظة ، ازاحت (سابل) المنديل الكبير الملون الذي تعصب به شعرها الاسود الكثيف ، ثم دفعت الى الوراء الشعر المتدلي على جبينها . كان جبين سابل عريضاً بشكل غير طبيعي ، وهو ينحدر الى الوراء من منطقة الحاجبين على نحو ملحوظ

قلت لها «انت اذن من قوم اللوكايان ، لكن هذا مستحيل»

ردت قائلة «لقد بقي من قومها اثنا عشر شخصاً فقط ، فقد عمدوا الى القضاء علينا بقسوة ووحشية لامثيل لها . وقد انتظرنا مدة طويلة للانتقام من قتلة قومنا»

وبعد ان سمعت ذلك اخذت بالتراجع الى الوراء ، ونحن ممسكين بالسيد الفارير . وتحركت مخلوقات (سابن) ثانية . فما كان من بيتي الا ان اطلق النار ، ولكنهم استمروا بالتقدم نحونا ، ثم بدأ بيتي يملأ مسدسه بالعيار رأيت (سابن) تضرب على رأسها ، وهي تصرخ كانها تعاني الماً قاسياً

ثم قالت «كلا ، انك لاتجرؤ على ذلك! ليست لديك القوة لكي تتحداني ، انني ساحرة واستطيع ان اقتلك» لم افهم ما حصل غير ان هذه المخلوقات توقفت عن السير مجدداً . فانتهزت الفرصة وقمت بسحب الاجريث باتجاه السيارة . ثم ساعدتهم على ركوب السيارة بعجلة ، وبدات في تشغيل محرك السيارة

لكن اين سنتوجه؟

فمازالت مايرال في الفناء ـ لكن من يستطيع توفير الحماية لنا (٣٤)؟ هل نتجه نحو المنزل . قد نستطيع الاختباء في قبو المنزل ، حيث لاتوجد فيه نوافذ وبابه من خشب الماهوجاني السميك . هل يمنعهم هذا من الوصول الينا (٣٨)؟ كانت مخلوقات (سابل) لاتبعد عنا سوى قدم واحد

فمن المحتمل ان حياة اربعة افراد تتوقف علي وانني يجب ان اتخذ قراراً حول ذلك

اذا كان السيد الفارير مايزال حياً وهارباً ، فما هي الجهة التي يحتمل ان يختبئ فيها؟ كنت راغباً بالتوجه نحو الميناء اولاً . اذ يوجد هناك مركز الشرطة ، ثم ان التسهيلات الموجودة في الميناء توفر امكانية مغادرة الجزيرة بواسطة القوارب التي تقف هناك ، أو حتى في امواجه من هناك الى سفينة الانقاذ الموجودة قرب الميناء .

وبما ان مورت اختار التوجه الى الميناء وقع اختياري على الذهاب الى مهبط الطائرات بدلاً من اختيار الطرق الخلفية ، وذلك لان هذا القسم من الجزيرة ، هو المكان الآخر الوحيد الذي يعرفه السيد الفارير جيداً . وعلى الرغم من ذلك فكنت اشعر بأمل ضعيف في العثور عليه هناك

كانت (سو) ترافقني عندما مشينا معاً الطريق ، ومهبط الطائرات والبنايات لفحصه تفتيشاً دقيقاً ، فقد كان كل شيء مغلقاً ومقفلاً في الليل ، ولم نعثر حتى على مكان يصلح للاختباء فيه ورغم ان احتمال العثور على السيد الفارير في الطريق الشمالي كان ضعيفاً ، فقد اتفقنا

على المرور في هذا الطريق

وصلنا حتى موقع التنقيب الذي يعمل فيه مالكولم ، كان الموقع خالياً من البشر ، ولكننا تابعنا تفتيش المنطقة حتى بلغنا الاسطبلات قرب المزرعة المخربة لنرى فيما اذا كان بيلي مايزال موجوداً ، وللمرة الثانية كان المكان مهجوراً وخالياً من البشر ثم واصلنا السير بالسيارة متجهين جنوباً ، حتى الساحل الشرقي ثم التقينا مع د. مركو شمال منطقة سحوب كريك

وكان هو ايضاً لم يعثر على شيء فاتفقنا على اكمال جولتنا التفتيشية حول الجزيرة والالتقاء في منطقة الميناء

وفي اثناء قيادتي السيارة في طريق قريب من المدينة ، حدثت هزة ارضية اخرى ولم نكن نعرف آنذاك انها ستكون الهزة الاخيرة في الجزيرة وحال وصولنا الميناء ، رأينا انه كان مزدحماً بالناس وان المنطقة متوهجة من كثرة مصابيح الاضاءة وهذه الضجة لم يكن سببها هو اختفاء السيد الفارير

فقد وصل نبأ يقول ان سفينة الانقاذ تواجه مصاعب جدية ، وان اجهزة التلفزيون التي تراقب سير الاعمال الجارية تحت سطح البحر للسفينة الغريقة قد توقفت فجأة عن بث الصور مما يجري تحت سطح البحر وفي اثناء ذلك وصل (صبيروك) الى الشاطئ وكان يرغب في الغوص ثانية ليستطلع ما وقع ، غير انه كان مقتنعاً بما حصل اليه فان التحرك الارضي نفسه الذي وقع تحت سطح البحر في السابق ، والذي ادى الى نشوء انشق في سلسلة الصخور الناشئة قريباً من سطح البحر قد تحرك ثانية ، غير انه في هذه المرة ، ادى الى انزلاق نصف سلسلة الصخور الى الاسفل بمسافة ستة آلاف قدم ، وقد جرف معه السفينة الغريقة (ماري كالانت)

وربما كانت هذه نهاية السفينة ماري كالانت ، لكنها ليست نهاية البحث عن السيد الفارير (٤٠)

استدرت بالسيارة ثم عدت بها الى الطريق الرئيسي ، وكنت متجهاً نحو الجنوب ، ثم مررنا بتقاطع الطريق الذي كان سيوصلنا ناحية الميناء عند نهاية هذا الطريق . استأنفت السير عبر الاشجار ثم بلغت الطريق الخشبي القديم . ثم توقفت ، بعد مسافة نصف ميل ، فقد أبصرت حديقة المنزل الخلفية التي لاتبعد عنا سوى عشرين ياردة . اما بيلي فقد ساعد السيد الفاريز بالتوجه نحو القبو ، في حين ذهبت (سو) لاحضار الطعام من الثلاجة . اما من ناحيتي فقد جلبت شموعاً ، وقمت بملء قنينتين كبيرتين من البلاستيك بالماء .

وبعد تحول الجميع نحو القبو ، اغلقت بابه الخشبي السميك وقفلته ثم قمت بتثبيت بعض الالواح الخشبية المثبتة على الباب وعلى اطاره .

وجلسنا ننتظر . لم يحدث شيء لمدة ساعة . ثم سمعنا بعدها الضربة الاولى على الباب ، تأتي من الخارج ثم تلتها عدة ضربات . كل واحدة منها تحمل ثقلاً كأن الباب تضرب بمطرقة حديدية ثقيلة ، ولكن الباب

قال بيلي «عندما كنت صغيراً علمتني والدتي كلاماً لابعاد السحر هو : عشرة ، عشرة ، الانجيل ، عشرة »

قالت سو «ليردد الجميع ذلك»

ثم رددنا جميعاً «عشرة ، عشرة ، الانجيل ، عشرة» لكن الطرق على الباب استمر فوضعت يدي داخل جيبي ، وشعرت بأصابعي وهي تلمس التعويذة . اخرجتها وركضت متجهاً نحو الباب . ثم وضعتها ما بين دفة الباب واحد الالواح الخشبية المثبتة عليها . مع ذلك صمت فوري .

كان السيد الفاريز أول المتكلمين .

«انهم لم يذهبوا ، فهم ينتظرون فقط حتى يعثروا على طريقة للدخول . ثمة شيء لابد ان اعرفه» قلت له «استرح . فقد تعرضت لضربة على رأسك»

ردّ علي وهو يقوم لكي ينهض على قدميه «كلا ، فربما لم يبق لدي سوى القليل من الوقت . فاسمعني . واع ما اقول . الربان ، اريد أن أرى ربان سفينة ماري كالانت . هل يوجد هيكله العظمي ضمن العظام المحروقة هنا؟»

دار في خاطري ان السيد الفاريز قد انتابته حالة من الهذيان نتيجة الصدمة ، ولكنه اشار الى قدم لهيكل عظمي من المكان الذي يقف فيه لجسمه «انه احد الهياكل البشرية الكامنة التي عثرنا عليها في السفينة ماري كالانت . وقد تمكنت من التعرف على صاحبه من الحلي الشخصية التي كان يرتديها جميع غرقى السفينة . ان اسمه كان »

قاطعني السيد الفاريز وقال «باتير بيدرو ، انظر الى القدمين ، هل فيهما ستة اصابع لكل قدم»

خلع السيد الفاريز فردة من جواربه وحذائه فقد كان عدد اصابع قدمه ستة ايضاً (٣٩)

بدأ السيد الفارير حديثه فقال:

«كان اسم والدتي بيبرون، أما اسمي فهو دون ميغيل يابير بيبرون الفارير، فنسبي يرجع إلى الرجل الملقاة عظامه هنا. فنسبي ينتسب مباشرة إلى ربان سفينة مدري كالانت. والآن، وقد علمت سبب رغبة هذه المرأة في القضاء علي، إذ لابد أنها ضمن المجموعة الأخيرة من أبناء قومها الذين بقوا على قيد الحياة. فأنني أمثل الفرع الحي من القوم الذين قضوا تقريباً على أبناء جنسها في القسوة وأشنع مجزرة بحقها البشر. فلديها كل الحق في قتلي»

أجبته: «لا يوجد لديها أي حق، إنها لا تستطيع أن تحكم لأجل ثلاثين ألف شخص. وهذا ينطبق عليك أيضاً، لأنك لا تتلاءم مما فعله أجدادك بقومها قبل زهاء خمسة قرون. فسنقوم بحمايتك بشتى الوسائل الممكنة»

ولقد وافقني على كلامي هذا سوربيلي.

قال السيد الفارير: «إنني أشكرك على شعورك هذا، لكن ذلك مكتوب في قدري. فقد عثرت على صحيفة قديمة ضمن أوراق العائلة تقول بوجود لعنة لن تتحقق إلا بعد واحد وعشرين جيلاً. فقد كان هيكل هذا الرجل الملقى هو أول الأجيال الذي تعنيه اللعنة، ونسبي مثل الجيل الواحد والعشرين».

وفي أثناء حديثه انتشرت رائحة حرق في المكان.

نظرنا ناحية الباب، فإذا التعويذة قد بدأت تحترق. أسرعت إلى أحد قنينتي الماء غير أنني لم أتمكن من تخليصها، فقد امتدت إليها النار والتهمتها، فلم يبق منها شيء. وفور احتراق التعويذة عاد الطرق ثانية على الباب. ظهر بعدها تشقق وتصدع في خشب الباب وبرز لوحان خشبيان من الألواح التي قمت بتثبيتها على إطار الباب.

قال السيد الفارير: «قلت لك إنها ستعثر على طريقة للدخول، وإنني لا أريد أن تتعرضوا للعقاب، فإنها ترغب في إنزال العقاب علي فقط».

ثم تحرك صوب الباب، جربت ذراعه لكي أمنعه. وفي أثناء ذلك وقعت هزة أرضية أخرى رمتنا جميعاً على الأرض من شدتها. وعندما كنت أحاول استرجاع أنفاسي والنهوض على قدمي، رأيت السيد الفارير يقوم بسحب الألواح الخشبية المزروعة عن الباب. وكان الباب يهتز تحت وطأة الضربات الشديدة، وبدأت تتصدع أبوابه تدريجياً في خشبها السميك. تملكتني الحيرة، فالباب سيتعرض للانهيار في أية لحظة، وستتمكن المخلوقات من دخول الكهف. وقلت في نفسي: هل إذا سمحت للسيد الفارير بالخروج لهم سيمنعهم ذلك من التعرض بالأذى؟ (٤٤) أم أمنع السيد الفارير من الخروج وهذا سيعني موتنا جميعاً؟ (٤٢)

فقد تعطلت سارية الإرسال لمحطة الاتصال اللاسلكية نتيجة الهزة الأرضية ، استخدم جهاز الإرسال القائم على متن سفينة الإنقاذ لإجراء الاتصالات مع جزيرة (ناسو) وكان يكفي ذكر اسم السيد لفرير لتأمين وصول الوجبة الأولى من الطائرات إلى الجزيرة صباح اليوم التالي . فقد احتشد الميناء برجال الشرطة الذين انتشروا في الجزيرة في مدة وجيزة

استمرت عملية البحث عن السيد لفرير ثلاثة أيام ، وتم أثناءها تمشيط كل شبر من الجزيرة بالتمعن وبمشاركة المتطوعين من أبناء الجزيرة المخلصين . ومن المناطق التي شملها البحث ، البحيرات ومنطقة المياه (والتي شارك فيها الغواصون الذين أقلتهم القوارب البحارية للبحث عن السيد لفرير في المناطق القريبة الواقعة تحت سطح البحر ـ وقد جلبوا معهم معدات تصوير تلفزيونية)

لم يعثر على أثر للسيد لفرير . ولم يكن هذا هو اللغز الوحيد ، إذ اختفت (ساندي) ، ولم يعثر على أي أثر لها . ثم هناك أيضاً (شارلي) الذي يشتغل في الحانة . وقد انتهت عمليات تحقيق البحث عن مصير هؤلاء الثلاثة بعدها رجعت إلى انكلترا مع زميلتي (سو) . وبعد مرور عدة أشهر ، تعاقدت للعمل ثانية في عملية إنقاذ سفينة غارقة في خليج المكسيك

وفي أثناء مكوثي هناك ، وحينما كنت أزور عمي في مدينة (مايفر علادس) المكسيكية ، تسلمت رسالة غريبة من الدكتورة آن وايترايت ، ترجو مني زيارتها في جزيرة ناسو . وقد قمت بتلبية طلبها . وبعد مرور عشرة أيام كنت في جزيرة ناسو

وكانت جميع البقايا الأثرية التي عثر عليها في سفينة ماري كالانت قد جلبت إلى المعهد الأثاري الموجود في ناسو .

أما عمل الدكتورة وايترايت فكان ينحصر في إجراء البحوث عن الأمراض التي يحملها الإنسان القديم ، وقد أجريت دراسات مفصلة على البقايا البشرية التي عثر عليها في سفينة ماري كالانت ـ والتي يعود تاريخها إلى خمسمائة عام

قالت الدكتورة وايترايت : أمامي لغز محير ، ففي الهياكل العظمية البشرية التي كنت أقوم بفحصها ، عثرت على هيكلين بشريين ، يعود أحدهما إلى زمان السفينة الأسبانية الأصل بقرون ـ وكان الهيكل بحالة سليمة ، وقد تم تشخيصه عن طريق الحلي الشخصية التي كان يرتديها . وكان عدد أصابع قدميه ستة لكل قدم

قلت لها : أمي تتذكر هذا جيداً . استأنفت الدكتورة حديثها ، وقالت

وأما الهيكل العظمي الآخر . فهو يعود إلى جنس القوقازيين . وكان أيضاً بحالة سليمة ، وهو يمثل هيكل امرأة غير أنه لم يتمكن من تشخيصها .

أجبتها وقد نفد صبري . متسائلاً في الأمر .

ربما يوجد خطأ ما . فعند فحص الهيكلين وجدت أنهما يعودان إلى مدة قريبة من الزمن واستطيع أن أقول أن تاريخهما يرجع إلى ثمانية عشر شهراً فقط . وإني متأكدة تماماً من تشخيصي هذا .

سألتها عما تنوي القيام به بهذا الخصوص

قالت : سأسأل محصل من تصورات قبل أن أتمكن من إثبات ما توصلت إليه . فعندما كنت أتمتع بوقت راحتي يوم أمس ، اختفى الهيكلان كلاهما من المخزن ، ولم يفقد شيء آخر ، وإنني في أشد الحيرة ، إذ لا أدري ماسأفعل بخصوص ذلك ، فلم يبق لدي سوى البحث الذي كتبته حول هذا الموضوع ، ومن غير الدليل المادي الذي يثبت ما توصلت إليه .

جفلت عندما سمعت صلصلاً حاداً لشيء معدني ، ثم تدحرج شيء ثقيل ، نظرت الى قدمي ، فشاهدت احدى قذائف المدفع التي كانت موضوعة قرب المدفع .

كان شارلي الآن يقف الى جانبي .

وقال بهدوء : لقد ردوا علينا ، ينبغي اغراق السفينة ماري كالانت بواسطة مدفعها .

اجبته : لا يتوفر لدينا البارود اللازم .

قال بيني ماينارد : يوجد لدي كيلو غرام من البارود ، ولكنني قد لا أتمكن من حمله او من اطلاق احدى القذائف . ثم ذهب مسرعاً ليأتي بالبارود قبل ان اتمكن من الرد عليه .

قال شارلي : نحتاج اولاً الى مواد للحشوة ، فنرجو منك ان تمزق ملابسك الى قطع صغيرة ، ثم نحتاج ايضاً الى قطعة من الخشب لسد الحشوة والبارود في فوهة المدفع .

احسست كأنني اعيش كابوساً رهيباً ، فقد كنت واثقاً بأن قذيفة المدفع ستنفجر فور اطلاقها . وعندما رجع بيني وهو يحمل البارود ، ساعدته على وضع البارود والحشوة المؤلفة من قطع الملابس الممزقة وتثبيتها ورفع القذائف الحديدية التي تزن ثلاثين باونداً .

قام (شارلي) باشعال الفتيل بإحدى قطع الملابس الممزقة عندما صرخت : لا يمكنك اطلاق القذائف ، فالسفينة ملأى بالبشر ، وانني ارى نساءً واطفالاً على متنها .

اجابه شارلي : هؤلاء ليسوا بشراً ، بل موتى تم احياؤهم عن طريق السحر . وقبل ان تتاح الفرصة لاعتراض شخص آخر ، اطلق شارلي اولى القذائف من المدفع النحاسي .

اخطأت القذيفة الاولى هدفها ، وسقطت في الماء بمحاذاة السفينة (ماري كالانت) . ثم اطلق القذيفة الثانية التي اصابت سارية السفينة واسقطتها . اما القذيفة الثالثة ، فقد اصابت هدفها ، فقد اخترقت بدن السفينة من الوسط . ثم سمعت بعدها صوت اطلاق القذيفة الرابعة ، ولكن نظري كان متجهاً نحو السفينة التي بدأت النيران تشتعل فيها .

وقبل ان تغرق السفينة في البحر سمعنا صوت انفجار قوي ، وقد كان الميناء خالياً من البشر ، وعلى مساحة قريبة من ضجيج المياه ، تمكنت من مشاهدة نور مصابيح الاضاءة لقوارب السحب وسفينة الانقاذ ، والتفت ورائي لكي ارى شارلي ، فوجدته ملقى على الارض بجانب القذيفة الرابعة ، التي انفجرت عنه ، شاهدت شظايا القذيفة قد اخترقت جسده ، وقد فارقته الحياة .

ثم سمعت أصواتاً تنادي من ورائي .

كان القس نيكولاس ورجل الشرطة روبرت جاكسون الى ناحيتي .

بعد انتهاء القس نيكولاس من صلاته الاخيرة على روح شارلي ، وحينما كان ماينارد راكعاً قرب جسد شارلي ، رفع بلطف خصلة الشعر السوداء عن جبين شارلي .

بصعوبة تمالكت نفسي وتمكنت من النهوض ، وقد مشت وأنا مترنح ، أمسكت بيد السيد الفرير وسحبته متجهاً إلى أسفل السلم ، وبعيداً عن الباب ، صرخت (سو) كنت ما زال ممسكاً بالسيد الفارير ، وقد كان يقاوم للتخلص من قبضة يدي ، غير أنني تمكنت من الالتفات لأرى (سو) تؤشر بيديها ناحية الجدار الذي يقع في نهاية القبو

فقد أدت الهزة الأرضية الأخيرة إلى سقوط كمية كبيرة من الجص الذي كان يغطي الحجر الأصلي الذي شيد به القبو فتوجه نيلي نحو (سو) لأنه ل مساعدة ، ثم حملها ورفعها إلى الأعلى صوب سقف القبو بعد ذلك سقط شيء على الأرض ، فقد كان مقبضاً حديدياً يعلوه الصدأ توقف السيد الفارير عن مقاومتي وكانت (سو) تصرخ قائلة

«هناك طريقة للهرب من هنا ، فأنني أستطيع أن أشاهد منظر الحديقة الخلفي»

نظرت ثانية نحو باب القبو ، وقد ظهر عليه المزيد من التصدع ...لم يعد أمامنا خيار ينبغي علينا الخروج من القبو بسرعة!

وجدت السيارة تقف في المكان نفسه الذي تركت فيه ـ وذلك في نهاية حديقة المنزل ، ولكنني ترددت في ركوبها ، لأن تشغيلها سيلفت انتباه تلك المخلوقات وسيعلمون أننا استطعنا الهرب فركضنا جميعاً متجهين عبر الطريق القديم صوب المياه فلو تمكنا من العثور على زورق لكي ينقلنا إلى سفينة الانقاذ ، فإننا سنكون بمأمن وبعيداً عن خطر هذه المخلوقات التي تطاردنا

فصعدنا سلم السفينة ونحن نتعثر وبعد وصولنا نهاية السلم ، شعرت بحدوث شيء خطير

فقد كان يفترض أن أبصر أمامي في عرض البحر زوارق السحب الأربعة وسفينة الانقاذ التي تقف جميعاً قريباً من الميناء لكنني لم أر شيئاً على الاطلاق حتى ولا بصيص نور مصباح لأية سفينة أو زورق

حاولت بصعوبة رؤية ما يحيط بنا وسط هذا الظلام الدامس ، أبصرت سفينة شراعية كبيرة الحجم تدخل خليج المياه الضيق ـ وكانت تعلوها ثلاثة صوار!

ثم سمعت صوتاً بشرياً عالياً ، وقريباً يقول

«لقد حاولت انقاذك ، فقد حذرتك من المخاطر التي تواجهك والآن قد انطلقت قوى رهيبة أقوى من سيطرتك»

بصعوبة جعلت نفسي عن الكف عن مواصلة التحديق في السفينة الشبح ، ثم التفت لأرى شارين تقف أعلى السلم وراءنا وراقبته وهو يرفع ذراعيه نحو السماء ، ويقول

«ربما أيتها الأرواح القديمة التي تحمي شعب اللوكايان أوقفي هذا الشيء»

لم يكن هناك سوى جواب صامت ثم تلا ذلك صوت وصل عبر المياه كأنه همسة ريح ، وهو ينادي أيها الربان الربان سيبون لقد جئنا إليك» (٤١)

سقط ضياء القمر على الجبين العريض المنحدر الى الوراء .

قال القس «من المحتمل انه الشخص الاخير من قوم اللوكايان ، وقد كان ايضاً ابن المرأة التي تدعى (سابل) ، وكانت قد دربته ليصبح ساحراً كبيراً ولكنه رفض ذلك منذ مدة طويلة ، وقرر ترك طريق الشر الذي ارادته له والدته . فان اعترافه الاخير لي هو الذي جعلني اقوم بزيارتك وتحذيرك» .

وهذا التفسير الذي قدمه القس نيكولاس كان جواباً لسؤال واحد من الاسئلة الكثيرة التي كان سيبروك ، مالكولم ، والغواصان يعملان من دون كلل لانقاذ السفينة الغريقة من الدمار . وقد علم فيما بعد ، انهم قد عادوا الى ظهر سفينة الانقاذ في المدة نفسها التي وصلنا فيها الميناء مع سو ، والسيد الفاريز وبيلي ، شاهدوا من على اجهزة المراقبة التلفزيونية صور السفينة الغريقة وهي تختفي تماماً من الشاشة . وقد خرجوا بعدها الى سطح السفينة في الوقت المناسب ليشاهدوا اطلاق النار من المدفع غير انهم لم يتمكنوا من رؤية السفينة الشبح . وعندما عادوا ثانية الى اجهزة المراقبة التلفزيونية ، وجدوها تشتغل بحالة اعتيادية وقد اظهرت الصور التي بثتها على شق خال في سلسلة الصخور الواقعة تحت سطح البحر . فقد اختفى كل اثر للسفينة ماري كالانت .

وعند عودتي الى المنزل مع مورت جاكسون كان الوقت يقارب الفجر .

وجدت باب القبو محطماً غير ان الذي اثار دهشتي ، انه ظل متماسكاً ولم يخلع ، ولم اعثر على اثر لمخلوقات سابل .

اما مصير سابل فتلك كانت قضية اخرى .

رجوت (مورت) ليرافقني في الذهاب الى كوخ سابل ، وقد ابدى موافقته على ذلك .

اوقف مورت سيارته في مكان يبعد مسافة قليلة ، ثم اخذنا نمشي باتجاه الكوخ ، وعندما اقتربنا منه ، شعرت بوجود شيء يتحرك بسرعة على الارض المحيطة بنا . ثم ركل مورت بقدمه حبلاً طويلاً من النبات المتعرش على الارض ، ودفعه جانباً ، فخرج من بين الاحراش مايشبه سرطان البحر ، وكان عددهما اثنان ولونهما ابيض ، وتحركا بسرعة ، ثم اختفيا تحت اوراق شجرة صمغ قريبة منا .

قال مورت «انتظر هنا ، لاتأت معي» . ثم توجه وحده نحو الكوخ . كنت اراقبه حين دخل ، غير انه لم يبق سوى مدة قصيرة وكان يبدو عليه المرض اذ تحركت صوبه ، ولكنه لوح بيده يامرني بعدم التقدم .

ثم قال «لاتخف ، انني بحالة جيدة» ، ثم ازاح بقدمه مجموعة اخرى من السرطانات التي كانت تتحرك على مقربة منه . وقال : «انها نوع من السرطانات التي تعيش في الارض ، فهم يعتقدون بأنها تعتاش على جثث البشر . وكنت انا لااصدق هذا غير ان هناك شيئاً ما قد اكل معظم مابقي من هذه الجثة الملقاة في داخل الكوخ» .

لقد دفعت (سابل) ثمناً باهظاً لاخفاقها في خطتها لقتل السيد الفاريز ، الذي مايزال حياً ، وقد تغلب على اللعنة التي لاحقته مدة واحد وعشرين جيلاً .

في محاولة مني للتهرب من مشاهدة ماحدث ، أغلقت عيني ، غير انني وجدت ذلك لايجدي؛ لااستطيع البقاء هكذا ممدداً على الارض من دون حركة ، وادع «مخلوقات» (سايل) تأخذ السيد الفاريز ، حتى لو ادى ذلك الى تهديد حياتنا جميعاً (انا وسو وبيلي) .

سمعت صرخة سو ، فتحت عيني ، وادرت رأسي ناحية سو . يظهر ان الهزة الارضية الاخيرة سببت سقوط وانهيار كمية كبيرة من الجص الذي كان يغطي جدار القبو ، وقد ظهر للعيان الحجر الاصلي الذي بني به القبو .

وكانت كمية من الجص قد سقطت على سو وبيلي ، اللذين دفنا تقريباً تحت انقاض الجص ، غير انهما لم يصابا بأذى فقد نهضت (سو) على قدميها بعد أن ازاحت الجص ، واخذت تصرخ قائلة بأن مقبضاً حديدياً قريب من سقف القبو ، وبهذا نكون قد عثرنا اخيراً على وسيلة للهرب من القبو!

نظرت ورائي صوب الباب ، وجدت البـاب مفتوحـاً ، وان السيد الفاريز قد اختفى عن الانظار ، فبسبب الثواني القليلة التي احدثتها صرخة سو الاخيرة ، كان الوقت قد فات لانقاذ السيد الفاريز . لقد تمكنت بصعوبة من الوقوف على قدمي ، وقد شاهد كل من سو وبيلي ماحصل ، وكان على مقربة مني عندما أخذت أصعد السلم ، ثم اتجهنا صوب ردهة المنزل ، فوجدناها خالية من البشر ، وكان الباب الامامي للمنزل مفتوحاً ، ولم نجد في الخارج سوى الظلام والسكون كما لم نعثر على اثر لوقوع مقاومة ما ، ولايوجد اثر لخطوات اقدام.. لاشيء عـلى الاطلاق .

جلبنا مصابيح يدوية من غرفة العمل ، ثم فتشنا بدقة أرجاء المنزل كافة .

لم نعثر على دليل يساعدك على تحديد الجهة التي يحتمل ان يكون فيها السيد الفاريز .

خرجنا بالسيارة ، وقد عثرنا على مورت جاكسون في مكان قريب من الميناء ، اخبرته بتفاصيل كاملة بما حدث في الساعات الاخيرة .

استمر البحث عن السيد الفاريز طوال الليل ، وفي فجر اليوم التالي ، هبطت اولى الطائرات القادمة من جزيرة ناسو ، وفي غضون ساعة ، كانت الجزيرة تعج بعدد كبير من رجال الشرطة ، ستشارك في عملية بحث مجددة العديد من السكان المحليين للجزيرة ، وكان بيلي من ضمن هؤلاء .

وقد ظهر تأثير الاحداث الاخيرة عـلى (سو) واضحـاً ، فقد بـدت شديدة الانهاك ولاتستطيع الوقوف على قدميها ، فرجوتها ان تعود الى العائلة لكي تأخذ قسطاً من الراحة ، وقد وافقت على اقتراحي ، وعادت الى العائلة .

إن المشاكل التي واجهتها في الساعات القليلة الماضية قد صرفتني عن التفكير بمشكلة السفينة ماري كالانت . عندما كنت قرب الميـنـاء شعرت بضرورة معرفة سير العمل لانتشال السفينة الغارقة .

كان (سيبروك) قد وصل الشاطىء منذ لحظات ، وكان يرافقه جميع اعضـاء فريقـه ، الذين رجعوا الى الجزيـرة ، وهم الآن في طريقهم لانتشال السفينة ماري كالانت (٤٥)! .

ساهمت مجموعة كبيرة من سكان الجزيرة في عملية التفتيش عن السيد الفاريز . وقد أتاح لي ذلك بأن اقرر مساعدة سيبروك في عمله . فلقد قرر الاشراف على عملية انتشال السفينة (ماري كالانت) من القمرة القائمة في سفينة الانقاذ . والتي تحتوي على أجهزة التصوير التلفزيونية الخاصة بمراقبة وتصوير العمليات التي تجري تحت سطح البحر . كما كان (سيبروك) أيضاً على اتصال مباشر بواسطة جهاز الارسال اللاسلكي (الراديو) مع زوارق السحب. وقد أمر الجميع بمغادرة القمرة باستثنائي أنا .

كنت اراقب تشغيل أجهزة التصوير التلفزيونية التي تصور السفينة الغريقة تحت سطح الماء . وقد تمكنا من رؤية الهيكل الكامل للسفينة .

وقد استنتجت بأن سيبروك مع غواصيه الاثنين قد اشتغلوا طوال الليلة السابقة تحت سطح البحر . فقد كانت جميع الاكياس البلاستيكية قد ثبتت في اماكنها . وتم جلب انابيب الهواء قريباً من السطح . وهي جاهزة لملء الاكياس بالهواء . كما ابصرت من شاشة التلفزيون عدم وجود أي فرد من فريق الغواصين بجانب السفينة الغريقة وجلب انتباهي صوت تيار قوي من الامواج في المنطقة التي تحيط بالسفينة الغريقة . وكنت أعرف بأن هذا التيار الشديد سينحسر بعد زهاء ساعتين . فلذلك قلت في نفسي . بأن هذه فرصة غير ملائمة لتنفيذ عملية الانتشال ولكنني كنت غير مستعد للمساءلة عن اجتهاد سيبروك بعمله .

كنت اتابع من على شاشة التلفزيون عملية نفخ الاكياس البلاستيكية بالهواء بواسطة الانابيب، ثم بدأ هيكل السفينة بالارتفاع ببطء . وقد ابلغت قوارب السحب لتكون مستعدة لجر السفينة حيث بدأ سيبروك يوجه تعليماته اليهم .

لم تصدق عيناي مارأيت . فقد بدا لي ان سيبروك تعمد في توجيه أوامره لزوارق السحب الى دفع السفينة الغريقة ناحية جدار الشق الارضي! فلقد أبصرتها وهي ترتطم بالجدار الارضي تحت سطح الماء . وقد انفصل جزء من هيكلها الخشبي .

قال سيبروك بعد ذلك «فات الاوان حاليا . لكي اغير رايي» وجه عدسات التصوير ناحية بدن السفينة» .

كنت انظر الى المنظر الداخلي لهيكل السفينة (ماري كالانت) حين التقطت عدسة الكاميرا صورة بما يشبه جسداً . وبعد ان اقتربت الكاميرا اتضحت معالم الصورة . لقد كان جسد السيد الفاريز ووجهه يواجه الكاميرا غير ان ذلك لم يكن المشهد بكامله . بل شاهدت اذرعاً لهيكلين بشريين تحتضن جسد السيد الفاريز بقوة! وقد اعتقدت بداية بأنهم يتحركون! وبعدها . رايت على شاشات المراقبة التلفزيونية الاخرى الموضوعة في القمرة . بأن اجزاء السفينة بكاملها تتفصل وتتناثر أجزاؤها في تيار الامواج القوي .

لم يوجه انتقاد لسيبروك «لفشل» عمليته . بل حظي بدلاً عن ذلك بالعطف لانه اضطر الى عملية انتشال السفينة قبل ان تتعرض للدمار نتيجة وقوع هزات ارضية اخرى .

وقد تم الكف عن عملية البحث عن السيد الفاريز بعد ثلاثة ايام . كما لم يعثر على اثر لكل من (سابل) و (شارس) . وقد اعد ثلاثتهم «اشخاصاً مفقودين» من قبل السلطات الرسمية! .

وزارة الثقافة والاعلام
دار ثقافة الاطفال
سلسلة اروع المغامرات

السعر ١ دينار

شركة النصر للطباعة المحدودة - تلفون ٤١١٦٣١٥٣